

عندما يكون الحكم لغير شريعة الله

إذا كان جمهور علماء الأمة قد اتفقوا [كما رأينا فيما مضى] على عدم الخروج على أئمة الجور مع وجوب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ فإن إجماعهم قد انعقد على أنه لا تصح ولاية الكافر على المسلمين، وإذا طرأ عليه كفر أو تغيير للشرع سقطت ولايته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه، ومن الأدلة على ذلك:

1 - قوله تعالى: ﴿لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النور: 24]

الآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ"!

الآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ":

الآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" والآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" والآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".

- "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ":

الآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".

- "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ":

الآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".

- "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ":

الآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".

الآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" والآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".

الآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" والآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".

الآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" والآية "لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبْعًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لَعْنَةً عَلَيْهِمْ وَأُكْفَرَتْ أَسْمَاءُ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".

¹ - حديث عبادة بن الصامت متفق عليه.
² - أنظر فتح الباري : 16/113 الحلبي، صحيح مسلم بشرح النووي: 12/229.

- "بما أن الدولة الإسلامية هي التي وضعت القوانين التي تحكم المجتمع الإسلامي، فإنها تتحمل مسؤولية ضمان تطبيق هذه القوانين بشكل صحيح وفعال."¹

- "بما أن الدولة الإسلامية هي التي وضعت القوانين التي تحكم المجتمع الإسلامي، فإنها تتحمل مسؤولية ضمان تطبيق هذه القوانين بشكل صحيح وفعال."²

- "بما أن الدولة الإسلامية هي التي وضعت القوانين التي تحكم المجتمع الإسلامي، فإنها تتحمل مسؤولية ضمان تطبيق هذه القوانين بشكل صحيح وفعال."³

- "بما أن الدولة الإسلامية هي التي وضعت القوانين التي تحكم المجتمع الإسلامي، فإنها تتحمل مسؤولية ضمان تطبيق هذه القوانين بشكل صحيح وفعال."³

- "بما أن الدولة الإسلامية هي التي وضعت القوانين التي تحكم المجتمع الإسلامي، فإنها تتحمل مسؤولية ضمان تطبيق هذه القوانين بشكل صحيح وفعال."³

¹ - فتح الباري: 16/241.
² - تفسير المنار: 6/367.
³ - إن جذور الانحراف والفساد سبقت هدم الخلافة الإسلامية، كما أن استبدال القوانين الأوروبية بأحكام الشريعة الإسلامية بدأت منذ عهد الخليفة العثماني سليمان القانوني.

مواقف العلماء

لقد كثر النفاق والتزلف للطواغيت في العقود الأربعة الماضية من قبل أناس يتسربلون بسربال العلم والمعرفة، ويتدثرون بدثار التقوى والورع:

- فمنهم من أباح المعاملات الربوية، وشن حملات ظالمة ضد البنوك الإسلامية.

- ومنهم من زعم أن أحكام الشريعة الإسلامية مطبقة في مصر، لأن القانون المدني مستمد من أحكام الشريعة، وهو أول من يعلم بأنه يكذب في هذا الدعاء.

- ومنهم من زعم أن أهل الجنة يعيشون حالة من الفرح ليس لها مثل من قبل لأنهم يستعدون لاستقبال أحد أبناء الطغاة الذي أهلكه الله سبحانه وتعالى، والولد سر أبيه.

- ومنهم من سمعته أذناي، كما سمعه مثلي مئات المصلين الذين كانوا يصغون إليه وهو يخطب الجمعة، وينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - في حديث حبه - قوله:

"... ثم يأتي جمال الدين فينتصر كما انتصر صلاح الدين" يريد من وراء هذا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم التزلف إلى نظام جمال عبد الناصر إبان حكمه وطغيانه.

- ومنهم من وضع شروحاً وحواشي لخطبة من خطب ولي أمره مع أن مثل هذه الخطب تعتبر مادة لنوادير وطرائف يتناقلها الناس ويشبعون ضحكاً منها وسخرية بها.

- وأكثر هؤلاء أفتوا بإباحة دماء العلماء والدعاة الذين أقدم الجلادون على سفك دمائهم من غير حق.

وقصارى القول: فإن هؤلاء المحسويين على زمرة العلماء يؤثرون الدنيا على الآخرة، ويأكلون بالسنتهم، ويأمرون الناس بالمعروف

وينسون أنفسهم، ومن كان منهم عالماً فإنه ممن لم ينتفعوا بعلمهم... وهذه الصفات تدفعهم إلى الإفتاء بكل ما يطلبه الظلمة منهم.

هناك صنف آخر من العلماء اشتهروا بين الناس بالعلم والصلاح والورع، وتجنبوا في حياتهم الخاصة والعامة مواطن الشبهات، مثل التسكع على أعتاب السلاطين، وتزيين قبائحهم، والنفاق لهم، وقد أكسبتهم هذه الصفات شعبية واسعة، ومكانة مرموقة داخل بلدانهم وخارجها، ولهذا يتطلع الناس إليهم في الملمات ينتظرون ماذا سيقولون، وإذا حددوا مواقفهم تبعهم في ذلك خلق كثير.

السلطان بخبثه ودهائه، ثم بمكر مخابراته وكبار مستشاريه من شياطين العلمانية، يسعى إلى هؤلاء العلماء، ويطلب منهم بالحاح قبول الوظائف الدينية الكبيرة، وبعدهم بالتعاون معهم من أجل إجراء إصلاحات واسعة في سائر مرافق الدولة.

وبعد وقوع هؤلاء العلماء في شركه، يرتب كيفية عملهم، ويضعهم في موضع من يتأثر ولا يؤثر، بحيث لو أرادوا الخروج على قواعد اللعبة المرسومة لهم لما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، لأن الذي اختارهم هو الذي اختار مساعديهم وحتى صغار الموظفين في مكاتبهم، وماذا يفعل المرء إذا أراد أن يسير في اتجاه لا يساعده على السير فيه أقرب الناس إليه؟!.

يؤثر مرور الزمن على هؤلاء الشيوخ، فيألفون المنكرات اليومية التي يرونها، والتي كانوا من قبل يقيمون النكير على فاعليها، وتتضاعف عندهم الرغبة في التماس الأعذار، ولو أراد باحث جمع فتاويهم بين القديم والحديث لوجد تناقضات مخجلة: فالمستحيل أصبح ممكناً، والمقطوع بأمره صار يحتمل عدة وجوه، والحكم بغير ما أنزل الله

أخرجوه من أقسام التوحيد، ومن خالفهم أضافوا اسمه إلى قوائم الخوارج والمبتدعة والمتطرفين الإرهابيين.

إن مما لا ينقصي منه العجب أن هؤلاء الشيوخ يعرفون حقيقة ما يجري من انحرافات خطيرة، وأعمال مكفرة لأنهم على صلة قوية بالنظام وبعمامة أهل الخير في مختلف مرافق الدولة، وينقلون إليهم الأمور بالوثائق والأرقام، وتمر بهم أحياناً حالات إحباط فيقولون لخاصة جلسائهم كلاماً شبيهاً بالكلام الذي يقوله من يرمونهم بالتطرف والابتداع، غير أن ولاة الأمور يسارعون إلى استرضاء الشيوخ، وامتصاص المشكلة التي أغضبتهم، فيعودون بعد هذا الاسترضاء إلى سيرتهم السابقة في الثناء على ولاة أمورهم، وفي التماس الأعذار لهم، ولما كان أثر هذا الصنف من الشيوخ لا يقارن بأثر الصنف الأول الذين مردوا على النفاق، وبالغوا في تقديس السلاطين والتقيد بتعليماتهم وأوامرهم، لذا فقد رأينا مناقشة أهم الشبهات التي يثيرونها لعل في ذلك خيراً لنا ولهم.

...
...
... [] ...
...

...
" ...
...
... [] ...
...
...

...
" ...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...

...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...

¹ - تفسير الطبري، دار المعارف بمصر: 3/252، وخرج أحمد شاكر الحديث فقال:
هذا حديث صحيح رواه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة، وخرجناه في شرح
المسند، وفي صحيح ابن حبان بتحقيقنا.

...
...
... " ..."

...
...
... !!

...
...
:

1 - أبو حنيفة النعمان: رفض الأعطيات التي كان يعرضها عليه أبو جعفر المنصور، وقال لرسول الخليفة: "ما وصلني أمير المؤمنين في ماله بشيء فرددته، ولو وصلني بذلك لقبته إنما أوصلني أمير المؤمنين من بيت مال المسلمين ولا حق لي في بيت مالهم، إني لست ممن يقاتل من ورائهم، فأخذ ما يأخذه المقاتل، ولست من ولدانهم فأخذ ما يأخذه الولدان، ولست من فقرائهم فأخذ ما يأخذه الفقراء".
ورفض رئاسة القضاء، وعُذّب من أجل ذلك، فكان رده على المنصور:
"... إن هذا دعائي للقضاء فأعلمته أنني لا أصلح، ولا يصلح للقضاء إلا رجل يكون له نفس يحكم بها عليك، وعلى ولدك وقوادك، وليس تلك النفس لي، إنك لتدعوني فما ترجع نفسي حتى أفارقك"².

2 - مالك بن أنس: بدأت محنة الإمام مالك في درس من دروسه التي كان يقررها في المسجد النبوي بالمدينة، وذلك عندما شرح حديث

² - تفسير المنار: 2/51.
² - انظر تاريخ بغداد: 13/328، والمناقب للمكي: 1/215.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس على مستكره طلاق" ووجد المناوئون لحكم أبي جعفر المنصور في هذا الحديث مستنداً قوياً على التحلل من بيعته لأنها جاءت عن طريق الإكراه، إذ قاسوا البيعة على الطلاق، فقالوا: "وليس على مستكره بيعة".

ووجد المنصور وولاته خطراً عليهم في نشر هذا الحديث، فحاولوا منع الإمام مالك من التحدث به، فما استجاب لهم رغم تعرضه للضرب والإهانة وأبى كتم العلم¹.

3 - سفيان الثوري: عن سفيان الثوري قال: دخلت على أبي جعفر بمنى، فقال لي: ارفع حاجتك. فقلت له: اتق الله! فإنك قد ملأت الأرض جوراً وظلماً، قال: فطأطأ رأسه، ثم رفع وقال: ارفع لنا حاجتك. فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً، فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم. قال: فطأطأ رأسه ثم رفع وقال: ارفع إلينا حاجتك. قلت: حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً، وأرى هاهنا أموراً لا تطيق الجمال حملها.

وكانت له مواقف قوية مع المهدي الذي عهد إليه بقضاء الكوفة، فأخذ العهد ومزقه بعد أن غادر ديوان الخلافة، وغاب عن أنظار الناس، فطلب في كل بلد، ومات عام 161 هـ مستخفياً بالبصرة.

وعن يحيى بن يمان قال: سمعت سفيان يقول: العالم طيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا اجتر الطيب الداء إليه متى يداوي غيره. هذا هو سفيان الثوري الذي قال عنه شعبة: أصحاب المذاهب الثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، وقال عنه الإمام

¹ - البداية والنهاية: 10/174 و 10/84، وكتاب الإسلام بين العلماء والحكام للشيخ عبد العزيز البدرى، ص: 155.

أحمد: لا يتقدمه في قلبي أحد. ثم قال: تدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري¹.

4 - أحمد بن حنبل: أصدر الخليفة المأمون أمره لواليه على بغداد - إسحاق بن إبراهيم - بضرب عنق كل من يخالف اعتقاده بخلق القرآن الكريم، وأخذ العلماء بالرخص إلا أربعة منهم: أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح وعبيد الله القواريري وسجادة، فأدخلوا السجن مصفدين بالأغلال، وفي اليوم التالي جيء بهم إلى حاكم بغداد لإعادة السؤال عليهم... فأجاب سجادة بما ينجيه ولحق القواريري بصاحبه، فأطلق سراحهما، وبقي ابن حنبل وابن نوح.

أما ابن نوح فمات سجيناً في [عانة] - وهي بلدة عراقية -، وأما الإمام أحمد فنقلوه من سجن لآخر حتى انتهى المطاف به في سجن الياسرية ببغداد، ثم نقلوه إلى حبس العامة في درب الموصلية، وفي هذا السجن طرح ثمانية وعشرين شهراً، وجلد أكثر من ألف سوط، وسالت دماؤه وأشرف على الموت دون أن ينتزع منه الطغاة أي اعتراف ببدعتهم، ومن أقواله المأثورة:

"يا عم [إسحاق بن حنبل] إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل، متى يتبين الحق؟". ولما دخل عليه يحيى بن معين يعوده في مرضه، لم يرد عليه السلام، فمزال ابن معين يعتذر بقوله الله تعالى ﴿...﴾ [...].

¹ - البداية والنهاية: 10/134، وتذكرة الحفاظ: 1/204، وما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين، للسيوطي، دار ابن حزم، ص: 83.

العلماء من هذا العصر وغيره]، فأبى أن يذهب، وقال لرسول الأمير: "في بيتي يؤتى العلم"، وكان ذلك سبباً في حقد الأمير عليه، وفي نفيه من بلده بخارى إلى بلدة [خرتتك] على بعد فرسخين من سمرقند. وعندما توفاه الله في هذا المنفى عم بغداد الاستياء، وطالبوا بالتأثر للإمام البخاري من أمير خراسان، وكان لهم ما أرادوا فقد انتقم الله من هذا الظالم، ومات في سجن بغداد².

5 - البخاري: طلب خالد بن أحمد الذهلي - أمير خراسان - من الإمام البخاري أن يحضر إليه من بلده بخارى ليعلمه في هذا العصر ويعلمهم وهذا ما يتمناه ويسعى إليه كثير من العلماء في هذا العصر وغيره]، فأبى أن يذهب، وقال لرسول الأمير: "في بيتي يؤتى العلم"، وكان ذلك سبباً في حقد الأمير عليه، وفي نفيه من بلده بخارى إلى بلدة [خرتتك] على بعد فرسخين من سمرقند. وعندما توفاه الله في هذا المنفى عم بغداد الاستياء، وطالبوا بالتأثر للإمام البخاري من أمير خراسان، وكان لهم ما أرادوا فقد انتقم الله من هذا الظالم، ومات في سجن بغداد².

6 - النووي: يقول علاء الدين بن العطار تلميذ الإمام النووي: "وكان - النووي - مواجهاً للملوك والجبابرة، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وكان إذا عجز عن المواجهة؛ كتب الرسائل، وتوصل إلى إبلاغها، فمما كتبه وأرسلني في السعي فيه وهو يتضمن العدل في الرعية، وإزالة

¹ - البداية والنهاية 12/168، وطبقات الشافعية 2/37، وسير أعلام النبلاء 11/177، ومجموعة التوحيد ص: 343، والإسلام بين العلماء والحكام للبدرى.
² - وفيات الأعيان: 3/329، والبداية والنهاية: 11/24.

المكوس عنهم³ ... فكان جواب السلطان بالإنكار والتوبيخ والتهديد، فكتب رحمه الله جواباً لذلك الجواب، ومما جاء فيه:

"... وقد أوجب الله إيضاح الأحكام عند الحاجة إليها، فقال تعالى: ﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

³ - كتب معه في ذلك: شيخ الإسلام عبد الرحمن بن أبي عمر شيخ الحنابلة،
والشيخ العلامة عبد السلام بن عمر الزواوي شيخ المالكية، والشيخ المفتي محمد
بن عبد الكريم الحرساني خطيب دمشق وابن خطيبها، وجماعة آخرون.
¹ يضاف قول النووي هذا إلى الأدلة السابقة التي ذكرناها قبل صفحات قليلة عن
وجوب إيضاح الأحكام عند الحاجة إليها.

واعتقاله مع صاحبه الشيخ ابن الحاجب المالكي لاشتراكه معه في هذا الإنكار، ثم لما قدم دمشق أمر بالإفراج عنهما، وفرض الإقامة الجبرية على العز بن عبد السلام.

إذا شئنا الحديث عن وظائف العز بن عبد السلام التي عزل عنها بلغة هذا العصر، فهي: وزارة المعارف، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ووزارة الإعلام، أو معظم أقسام هذه الوزارات، وهذا مما لا يطمع به أي عالم من علماء السلاطين اليوم، ومع ذلك فهو لم يتردد في التخلي عنها إرضاءً لله سبحانه وتعالى. يقول تلميذه القرافي أن بعض أرباب الدولة كتب إليه يحضه على الاجتماع بملك وقتهم، والتردد إليه ليكون ذلك مقيماً لجاهه وكابناً لعدوه، فقال: "قرأت العلم لأكون سفيراً بين الله وبين خلقه وأتردد إلى أبواب هؤلاء؟!".

ولما كان التطبيق العملي يبين معادن الرجال، ويكشف ما تكنه الصدور، فإن رد العز بن السلام على بعض خواص السلطان الذين جاؤوه يعرضون عليه الاعتذار مقابل العودة إلى وظائفه المغربية خير دليل على أنه يتبع القول العمل.

قالوا له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير.

قال: والله ما أَرْضاه أن يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده. يا قوم أنتم في واد وأنا في واد، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به.

قالوا: يا شيخ قد رسم لنا أن توافق على ما يطلب منك، وإلا اعتقلناك.

قال: افعلوا ما بدا لكم، ثم أخذوه معتقلاً في خيمة مجاورة لخيمة السلطان.

وقعت الحرب بين الأخوين، وأسفرت عن انتصار السلطان نجم الدين أيوب على السلطان إسماعيل وحلفائه الصليبيين. ونجا الشيخ ابن عبد السلام من الأسر، ثم دخل مصر معزراً مكرماً، وتولى منصب قاضي القضاة فيها... ولكن: هل أخلد الشيخ إلى الراحة، وشغله منصبه الرفيع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟، وعنده مسوغات كثيرة لو شاء اتخاذ مثل هذا القرار.

يقول السبكي: لم يثبت عند الشيخ أن أمراء الدولة الأتراك أحرار، ولهذا فإن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، وقام الشيخ بإبلاغهم ذلك.

استشاط نائب السلطنة غضباً، وركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، ثم طرق بابه وسيفه مسلول بيده، فخرج ولد الشيخ، وهاله ما رأى، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال، فما اكرث الشيخ لذلك ولا تغير، وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج، فسقط السيف من يد نائب السلطنة عندما وقع بصر الشيخ عليه، وأرعدت مفاصله، فبكى النائب، وسأل الشيخ أن يدعو له، ثم قال: يا سيدي خير، أي شي تعمل؟. قال: أنادي عليكم وأبيعكم، قال: ففيم تصرف ثمننا؟. قال: في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه؟. قال: أنا.

وأخيراً فقد تم للشيخ ما أراد حيث نادى على الأمراء واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، وقبضه وصرفه في وجوه الخير، رحم الله سلطان العلماء، وجزاه عن الإسلام والمسلمين كل خير¹ ◆◆◆

¹ - اختصرت الروايات التي تحدثت عن بيع الشيخ لممالك مصر، والمصادر التي اعتمدت عليها هي: ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين للسيوطي، وطبقات الشافعية للسبكي: 5/84، والسلوك للمقريزي: 1/303، وفوات الوفيات: 1/596، والإسلام بين العلماء والحكام.

شيخ الإسلام ابن تيمية

توسعت قليلاً في عرض أهم مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية للسبيين
التاليين:

الأول: نحن وكثير من المخالفين الذين يتمسكون بالمنهج السلفي متفقون على أنه لم يبرز في القرون التي تلت عصر ابن تيمية إمام مثله، ولم نقرأ لمخالفينا هؤلاء رداً علمياً ينقض هذه المواقف، وكل الذي نعرفه إعجابهم بها وتقديرهم لها، والاستشهاد بها فيما يكتبون ويدرسون.

الثاني: هناك تشابه بين عصرنا وعصر شيخ الإسلام، ففي العصرين تعرضت بلدان العالم الإسلامي لهجمات صليبية ووثنية وباطنية، وأسفرت هذه الهجمات عن احتلال بعض بلداننا.

1 - موقفه من قازان: أسلم قازان، وتسمى بمحمود، وكان يشهد الجمعة، وأسلم معه خلق كثير من التتار، وكان في جيشه وعاظ ومصلحون، وكان للصالحين من المسلمين عندهم قدر. قال صاحب خطط الشام: "... قال صاحب التتر: إنه حارب حكام مصر والشام لأنهم خارجون عن طريق الدين غير متمسكين بأحكام الإسلام... هذا هو قازان¹ الذي أصدر بحقه وحق جيشه فتواه المشهورة، أما عن لقائه مع قازان وماذا قال له؟، يقول الشيخ عمر ابن أبي بكر البالسي وهو أحد أعضاء الوفد:

"قال شيخ الإسلام للترجمان قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاضي وإمام وشيخ على ما بلغنا فغزوتنا وبلغت بلادنا على

¹ - قازان بهذه الصفات التي توفرت فيه أحسن ديناً من أكثر الحكام المعاصرين، وبشكل أخص الذين منعوا الحجاب الشرعي في المعاهد والجامعات وسائر مؤسسات الدولة، أو الذين يمنعون بعض المظاهر الشرعية، أو الذين يضطهدون كل من يطالب بتحكيم شرع الله، وغير ذلك كثير وكثير جداً.

ماذا؟ وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام، بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت.

قال - أي باللسي - : وقرب إلى الجماعة طعاماً فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ قال: كيف أكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس، قال: ثم إن قازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لله فانصره وأيده ومملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياءً وسمعة وطلباً للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره.

قال باللسي: وقازان يؤمن على دعائه، ويرفع يديه. قال:
فجعلنا نجم ثيابنا خوفاً من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله، قال:
فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين بن صصري
وغيره:

كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال:
وأنا والله لا أصحبكم، قال: فانطلقنا عصبية وتأخر هو في خاصة نفسه
ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب
قازان فأتوه يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال:
والله ما وصل دمشق إلا في نحو ثلثمائة فارس في ركابه، وكنت أنا من
جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة
من التتر فشلحوهم عن آخرهم¹.

2- جهاده: كان رحمه الله عالماً مجاهداً شجاعاً لا يخشى الموت،
يقول الإمام محمد ابن عبد الهادي عن قتال الشيخ في معركة "شَقُحْب"
المشهورة:

¹ - البداية والنهاية: 14/89، كما روى هذا الخبر الشيخ كمال الدين بن أنجا في "الكواكب الدرية"، وكان ممن صحب شيخ الإسلام في لقائه مع قازان، وقال ابن كثير بعد أن ساق رواية باللسي: "وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره".

"ويقي الشيخ رضي الله عنه هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائماً بظهوره وجهاده ولأمة حربه، يوص الناس بالثبات ويعددهم بالنصر، ويبشرهم بالغنيمة، والفوز بإحدى الحسنين إلى أن صدق الله وعده، وأعز جنده، وهزم التتار وحده، ونصر المؤمنين...

"ودخل جيش الإسلام المنصور إلى دمشق المحروسة والشيخ في أصحابه شاكياً في سلاحه، داخلاً معهم، عالية كلمته، قائمة حجته، ظاهرة ولايته، مقبولة شفاعته... وهو مع ذلك يقول للمداحين له: أنا رجل ملة، لا رجل دولة.

"ولقد أخبرني حاجب من الحجاب الشاميين [لا يزال الكلام لابن عبد الهادي]، أمير من أمرائهم، ذو دين متين، وصدق لهجة معروفة في الدولة، قال: قال لي الشيخ يوم اللقاء، ونحن بمرج الصُّقَر، وقد تراءى الجمعان:

يا فلان، أوقفني موقف الموت.

قال: فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون كالسيل تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم. ثم قلت له: يا سيدي، هذا موقف الموت، وهذا العدو، قد أقبل تحت هذه العبرة المنعقدة، فدونك وما تريد.

قال: فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص بصره، وحرك شفثيه طويلاً، ثم انبعث وأقدم على القتال. وأما أنا فخيل إلى أنه دعا عليهم وأن دعاءه استجيب منه في تلك الساعة.

قال: ثم حال القتال بيننا والالتحام، وما عدت رأيت، حتى فتح الله ونصر، وانحاز التتار إلى جبل صغير، عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين تلك الساعة وكان آخر النهار.

قال: وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما، تحريضاً على القتال، وتخويفاً للناس من الفرار.

فقلت: يا سيدي، لك البشارة بالنصر. فإنه قد فتح الله ونصر، وهاهم التتار محصورون بهذا السفح. وفي غد إن شاء الله تعالى، يؤخذون عن آخرهم.

قال: فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهله، ودعا لي في ذلك الموطن دعاء وجدت بركته في ذلك الوقت وبعده.

بعد هذا الانتصار الفاصل كان لابد للمسلمين المجاهدين من تأديب: النصاري، والنصيريين، والرافضة، والاسماعيليين الذين غدروا بالمسلمين، وقدموا جميع أنواع الدعم للغزاة، كما تعاونوا من قبل مع جحافل الغزاة الصليبيين، وسوف تبقى الجبهة الداخلية ضعيفة ومفككة إذا ترك الحبل على غاريبه لهؤلاء الخونة العملاء. لا سيما وأن شيخ الإسلام ابن تيمية - وهو الخبير بأساليب الباطنيين - يعلم حق العلم أن الرافضي الخبيث ابن العلقمي - وزير المستعصم بالله المستنصر آخر الخلفاء العباسيين - استغل ثقة الخليفة به، فقام بدور لا مثيل له في تاريخنا الإسلامي: فهو من جهة كان يرأسل "هولاكو" الوثني قائد جيش التتار بعد احتلاله لإيران ويحرّضه على احتلال بغداد، ومن جهة أخرى فقد أشار على المستعصم المثلوث بين يدي هولاكو عندما اقتربت جيوشه من عاصمة الإسلام، ومن جهة ثالثة فقد أقنع القائد التتري بقتل الخليفة، ففعل وقتل معه سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء وسائر أعيان الدولة وأركانها عندما مثلوا بين يديه. ثم دخل طاغية التتار بغداد يتقدمهم الرافضي ابن العلقمي. وزميله الرافضي نصير الدين الطوسي الذي اتخذه هولاكو ليكون في خدمته كالوزير المشير... وفي بغداد قتل التتار كل من قدروا عليه: من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب، فيفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون

عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى يجري الميازيب من الدماء بالأزقة¹.

وقعت هذه المذبحة عام 656 هـ، ولهذا فقد قدم والد شيخ الإسلام إلى دمشق ومعه ولداه عام 667 هـ... فكيف ينتظر من عالم مثل ابن تيمية أن لا يستفيد من هذا الدرس المرير؟!.

وها هنا يبرز أمام الباحث الذي يستعرض النصوص التاريخية سؤال يدعو إلى الحيرة والدهشة:

هل شيخ الإسلام ابن تيمية سلطان حاكم في بلاد الشام، أم هو عالم اعتزل الوظائف ولم يتقلد أي منصب طوال سني عمره؟!.

ينقل ابن عبد الهادي عن الأمير الحاجب قوله:

"ثم لم يزل الشيخ بعد ذلك على زيادة في الحال والقال والجاه، والتحقيق في العلم، حتى حرّك الله عزمات نفوس ولاة الأمر لقتال أهل جبل كسروان. وهم الذين بغوا وخرجوا على الإمام، وأخافوا السُّبُلُ وعارضوا المارّين بهم من الجيش بكل سواء".

"فقام الشيخ في ذلك أتم قيام، وكتب إلى أطراف الشام في الحثّ على قتال المذكورين، وأنها غزاة في سبيل الله".

"ثم تجهز هو بمن معه لغزوهم بالجبل، صحبه ولي الأمر نائب المملكة المعظمة، أعز الله نصره، والجيوش الشامية، المنصورة، وما زال مع ولي الأمر في حصارهم وقتالهم، حتى فتح الله الجبل، وأجلى أهله. وكان من أصعب الجبال، وأشقها ساحة. وكانت الملوك المتقدمة لا تقدم على حصاره، مع علمها بما عليه أهله من البغي والخروج على الإمام والعصيان، وليس إلا لصعوبة المسلك، ومشقة النزول عليهم".

¹ - البداية والنهاية، أحداث سنة 656 هـ: 13/200 مع الاختصار والتصريف اليسير.

"وكان فتحه أحد المكرمات والكرامات المعدودة للشيخ، لسببين على ما يقوله الناس:

أحدهما: لكون أهل هذا الجبل بغاة رافضة سبابةً تعيّن قتالهم.
والثاني: لأن جبل الصالحية لما استولت الرافضة عليه - في حال استيلاء الطاغية قازان - أشار بعض كبارهم بنهب الجبل، وسبي أهله وقتلهم، وتحريق مساكنهم، انتقاماً منهم لكونهم سبباً، وسماهم ذلك المشير: نواصب، فكان ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول، وتلك الإشارة".

"قالوا: فكوفئ الرافضة بمثل ذلك، بإشارة كبير من كبراء أهل السنة وزناً بوزن، جزاءً على يد ولي الأمر، وجيوش الإسلام.
والمشير المذكور: هو الشيخ¹ المشار إليه".

"ولما فتح الجبل، وصار الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة عكف خاص الناس وعامهم على الشيخ بالزيارة والتسليم عليه، والتهنئة بسلامته، والمسألة له منهم عن كيفية الحصار للجبل، وصورة قتال أهله، وعما وقع بينهم وبين الجيوش من المراسلات، وغيرها، فحكى الشيخ ذلك".

"وكان توجه الشيخ تقي الدين رضي الله عنه إلى الكسروانيين في مستهل ذي الحجة من سنة أربع وسبعمئة وصحبه الأمير قراقوش، وتوجه نائب السلطنة، الأمير جمال الدين الأفرم، بمن تأخر من عسكر دمشق إليهم، لغزوهم واستئصالهم في ثاني شهر المحرم من سنة خمس وسبعمئة، وكان قد توجه قبله العسكر، طائفة بعد طائفة في ذي الحجة".

"وفي يوم الخميس سابع عشر وصل النائب والعسكري معه إلى دمشق، بعد أن نصرهم الله تعالى على حزب الضلال من الروافض

¹ - أي الرافضي نصير الدين الطوسي.

والنصيرية وأصحاب العقائد الفاسدة، وأبادهم الله من تلك الأرض،
والحمد لله رب العالمين" اهـ¹.

3- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر: يتحدث ابن كثير عن
هزيمة المسلمين أمام قازان، وجيشه في سنة تسع وتسعين وستمئة
فيقول:

"ولى السلطان هارباً فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقتل جماعة من
الأمرء وغيرهم... وكان أهل دمشق في خوف شديد على أنفسهم
وأهلهم وأموالهم... وهرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر،
كالقاضي إمام الدين الشافعي، وقاضي المالكية الزواوي، وتاج الدين
الشيرازي، وعلم الدين الصوابي والي البر، وجمال الدين بن النحاس
والي المدينة، والمحتسب وغيرهم من التجار والعوام، وبقي البلد شاغراً
ليس فيهم حاكم سوى نائب القلعة".

"وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبوسون بحبس باب الصغير
الحبس وخرجوا منه على حمية، وتفرقوا في البلد، وكانوا قريباً من مائتي
رجل، فنهبوا ما قدروا عليه، وجاءوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال
الباب البراني وخرجوا منه إلى بر البلد... ثم يتحدث عن كسر أبواب
البساتين، وقلع الأبواب والشبابيك، وعن غلاء الأسعار وغير ذلك"².

تلفتت دمشق في هذه الأيام العصيبة، فلم تجد إلى عالمها الشجاع ابن
تيمية، الذي أرسل إلى نائب القلعة من يقول له: لو لم يبق فيها إلا حجر
واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت، وعندما أقبل علماء السوء نحو
قازان يخطبون له على المنابر، ويحظون بشيء من ذهبه وفضته، كان
شيخ الإسلام مشغول بما يدخل الأمان على قلوب الناس الخائفين، وما

¹ - الكواكب الدرية، ص: 182، ومنه نقلت ما كتبه عن جهاد شيخ الإسلام في موقعة
"شقح".

² - البداية والنهاية: 14/6 مع الاختصار.

كان يفكر بخاصة نفسه، فهو من جهة يحاول مقابلة قازان مرة أخرى لأخذ الأمان منه، وعندما يحجبه عنه وزيره، يكرر المحاولة بعد ارتحال قازان عن بلاد الشام، وينجح في مقابلة نائبه "أمير بولائي" وتمكن من استنقاذ كثير من أسرى المسلمين، وكان من بين الذين استنقذهم الأسرى من الشاميين الذميين.

ومن جهة أخرى يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط.

وفي جميع أحواله [سواء كانت دمشق تخضع لسيطرة التتار أم لسيطرة سلطان المسلمين] كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر:

ففي سنة تسع وتسعين وستمئة وقبل قدوم العساكر المصرية بأيام دار الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمر وشققوا الظروف وأراقوا الخمر، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش، وفرح الناس بذلك.

وفي سنة إحدى وسبعمائة ثار جماعة من الحسدة على الشيخ تقي الدين ابن تيمية وشكوا منه أنه يقيم الحدود ويعزر ويحلق رؤوس الصبيان، وتكلم هو أيضاً فيمن يشكو منه ذلك، وبين خطأهم، ثم سكنت الأمور.

وفي سنة أربع وسبعمائة أحضر إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ كان يلبس دلقة كبيرة متسعة جداً يسمى المجاهد إبراهيم القطان، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق فتناهبه الناس من كل جانب وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئاً وأمر بحلق رأسه، وكان ذا شعر، وقلم أظفاره وكانوا طوالاً جداً، وحف شاربه المسبل على فمه المخالف للسنة، واستتابه من كلام الفحش وأكل ما يغير العقل من الحشيشة وما لا يجوز من المحرمات وغيرها.

وبعد استحضار محمد الخباز البلاسي فاستتابه أيضاً عن أكل المحرمات ومخالطة أهل الذمة، وكتب عليه مكتوباً أن لا يتكلم في تعبير المنامات ولا في غيرها بما لا علم له به. وفي هذا الشهر¹ بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد التاريخ وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً، وبهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة، وكذلك بكلامه بابن العربي وأتباعه، فحسد على ذلك وعودي، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم، ولا بالي، ولم يصلوا إليه بمكروه، وأكثر ما نالوا منه الحبش مع أنه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالجاه كما سيأتي، وإلى الله إياب الخلق وعليه حسابهم".

أما المحن التي ابتلي بها الشيخ رحمه الله بسبب مواقفه واجتهاداته، فنشير فيما يلي لأهمها:

في عام 705 هـ حبس أياماً في برج بمصر، ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب، هو وأخوه شرف الدين عبد الله، وخرج من هذا السجن عام 707 هـ، ثم أعيد إلى السجن - حبس القضاة - في شوال عام 707 هـ، وانتهت هذه المحنة بعودة السلطان ناصر بن قلاؤون إلى الحكم في 13 من شعبان عام 709 هـ، وكان الأفراج عن ابن تيمية في 8 شوال 709 هـ، وعندما استفتاه السلطان في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، فقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً، فقال: من آذاني فهو في حل.

وفي يوم الخميس ثاني عشرين رجب من سنة عشرين وسبعمئة عقد مجلس بدار السعادة للشيخ تقي الدين ابن تيمية بحضرة نائب السلطنة، وحضر فيه القضاة والمفتون من المذاهب، وحضر الشيخ وعاتبوه على

¹ - شهر رجب من عام: 704 هـ.

العود إلى الإفتاء بمسألة الطلاق ثم حبس في القلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه يوم الاثنين - يوم عاشوراء - من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

"وفي السابعة من شعبان 726 هـ صدر مرسوم بحبسه بسبب فتواه بعدم جواز شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقبور الصالحين، وبعد أيام أمر قاضي القضاة الشافعي في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين".

وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، توفي شيخ الإسلام ابن تيمية بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً بها¹.

عجز كيد المرجفين وعداوة الحاسدين وخشونة سجون الظالمين، عن النيل من شموخ شيخ الإسلام ابن تيمية وعلو همته، وأشهد بأني ما وجدت في أقوال العلماء الأئمة مثل تفسيره للمحن والابتلاءات، يقول رحمه الله:

"ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحمت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في مجلسه في القلعة:

لو بذلت ملء الأرض ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا إلى فيه من الخير ونحو هذا. وكان يقول في سجوده وهو محبوس:

¹ - البداية والنهاية: 14/1 - 135، والكواكب الدرية.

"اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ماشاء الله. وقال لي مرة¹: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، ولما أدخل ووصل إلى القلعة وصار داخل سورها، نظر إليه وقال:
[فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب]. وعلم الله ما رأيت [ما يزال الكلام لابن القيم] أحداً أطيّب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك أطيّب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرأً، وأقواهم قلباً، وأسرههم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون، وضائق بنا الأرض، أتيناها فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، فينقلب انشراحاً وقوة و يقيناً وطمأنينة"² .
ومن شجاعته وترفعه عن التقرب إلى أولي النهي والسلطان ما حكاه في الكواكب قال:

"لما وشوا به إلى السلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله، وأحضره بين يديه قال من جملة كلامه: إنني أخبرتك أنك قد أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ الملك، فلم يكثر به، بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت، وصوت عال سمعه كثير من حضر:

أنا أفعل ذلك؟ والله إن ملكك وملك المغول لا يساوي عندي فلساً، فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلة بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة: إنك والله لصادق، وإن الذي وشى بك إلي لكاذب، واستقر له في قلبه من المحبة الدينية ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهر

¹ - هذا النص كله يرويه عنه تلميذه ابن قيم الجوزية الذي كان محبوساً معه في سجن القلعة.
² - الكلم الطيب والعمل الصالح، لابن القيم [عن كتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمؤلفه محمد بهجت البيطار].

طويل من كثرة ما يلقي إليه في حقه من أقاويل المزور والبهتان، ممن
ظاهر حاله العدالة، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة" ³.

لقد كان السلطان يعلم من سيرة هذا الشيخ ومن مواقفه المجردة
من الأهواء والمنافع أن ملكه وملك المغول لا يساوي عند ابن تيمية
فلسافاً، فكيف بما هو أدنى من ذلك كمنصب وزير أو قاضي القضاة أو غير
ذلك؟، أما شيخ الإسلام فما كان يبالي بما سيفعله السلطان عندما رد
عليه هذا الرد الحاسم.

إن أمة يبرز فيها أمثال ابن تيمية لا بد وأن تتبوأ مكاتبتها القيادية
المرموقة، وإذا تعرضت لانتكاسة كما حدث في غزوة التتار، فإن فشلها
إلى نجاح وهزيمتها إلى نصر بإذن الله، فليثق الله الذين يبررون تخاذلهم
بشواهد يستدلون بها من أقوال شيخ الإسلام، أو لبيبنا لنا كيف يقرأون
 ويفهمون هذه المواقف التي عرضناها؟ ◆◆◆

³ - حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، للشيخ محمد بهجت البيطار، ص: 15.

الشبهة الثانية

يقولون: إن الأوضاع العامة في بلدنا - رغم وجود بعض الأخطاء والانحرافات - أفضل مما هي عليه في البلدان المجاورة، بل من الظلم مقارنة هذا بذاك، والواجب شكر الله على نعمه الكثيرة التي أنعم بها علينا، ونسأله جل وعلا أن يجنبنا الخلافات والفتن والحروب التي تشهدها البلدان الأخرى.

وقولهم هذا عائم وغير منضبط بالضوابط الشرعية، وفيه حيدة ظاهرة عن الحق، ومن الدلائل على ذلك أن بعض العلماء والدعاة في كل بلد يستطيعون ترديد مثل هذا الادعاء، ولا يعدمون ميزة يمتازون بها عن غيرهم، وتدفعهم إلى الافتخار بها.

ومن جهة أخرى فقد يكون في البلد المفضول قدر من الحرية يسمح بنقد المسؤولين وبيان أخطائهم، ثم تنتشر هذه الأخطاء والمفاسد في وسائل الإعلام ويتحدث بها القاصي والداني، في حين تنعدم هذه الحرية في البلد الفاضل [حسب ادعائهم] ولا تجرؤ وسائل الإعلام على نقد أحد كبار المسؤولين، ومن يفعل ويقترف مثل هذه الجريمة فإنه معرض لأية عقوبة، وقد تبلغ حد الموت. أما إذا اطمأن المواطنون في مجالسهم الخاصة، وداخل الأبواب المغلقة، وأمنوا شر الجواسيس، فيتحدثون عن أضعاف المفاسد التي تشهدها البلدان الأخرى، ثم لا بد بعد ذلك أن تبقى بعض الانحرافات المجهولة التي لا يعرف الناس شيئاً عنها.

ومن جهة ثالثة فقد يكون نقد البلدان الأخرى وسيلة من وسائل تجنيد الدولة لهذا النوع من الدعاة في حملتها الدعائية المعادية لهذه الدولة، وليس للدعوة الإسلامية أية فائدة من هذه المهاترات الشخصية الفاجرة.

ومن جهة رابعة فقد يكون الحال في بلد من البلدان أفضل حالاً مما هو عليه في البلدان الأخرى، ومع ذلك فإن هذه الحقيقة لا تعفي العلماء والدعاة من وجوب إنكار المنكر في بلدهم، وبيان حكمها الشرعي، وهم آثمون إذا لم ينهضوا بما أوجبه الله عليهم، ولندلل على ذلك بالمثال الآتي:

لنفترض أن السلطان في البلد الفاضل أصدر مرسوماً تشريعياً يسمح بإقامة بنوك ربوية، وينظم مقدار الفائدة، وبموجب هذا القانون أصبحت هذه البنوك بأبنيتها الشاهقة معلماً من معالم المدن داخل البلد المشار إليه، ويستطيع أي باحث لهذه المسألة أن يتوصل لمعلومات دقيقة عن تعامل هذه الدولة: مع صندوق النقد الدولي، ومع البنوك العالمية والمحلية، وعن مقدار الاستثمارات الربوية في البنوك الغربية وغيرها.

ولنفترض أن العلماء قابلوا السلطان، وتحدثوا معه بطريقة مهذبة عن عيوب هذا المرسوم ومخالفته لشرع الله، ثم وعدهم كعادته خيراً، ومرت الأيام والأعوام دون أن يروا بصيصاً من هذا الخير الذي وعدهم به، وهم يرون أنه ليس من اللائق أن يكلموه مرةً أخرى بالمسألة نفسها لأنهم يخشون الفتنة(!!)، وما يعجز غيرهم عن أخذه بالقوة هم قادرون على أخذه بالحسنى... غير أنهم عادوا إليه مرةً أخرى يطلبون ما هو أقل من ذلك بكثير... عادوا يطلبون إصدار مرسوم يسمح بإقامة بنوك إسلامية، كما هو الحال في بعض البلدان العربية الأخرى التي يكثرون من الحديث عما فيها من الفتن والفساد، أو كما هو الحال في بعض الدول الأوربية الكافرة التي سمحت بقيام هذا النوع من البنوك، ووعدهم سلطانهم خيراً، ولكن هذا الوعد كسر اب بقبعة يحسبه الظمان ماء.

وزيادة على إخلافه بالوعد فقد وردت العلماء معلومات وفيرة تؤكد عداوة هذا السلطان للبنوك الإسلامية، وسعيه الحثيث من أجل وصول هذه المشاريع الإسلامية إلى طريق مسدود، ولهذا فهو يحرك أشباه

المثقفين إعلامياً ضد هذه البنوك، ويحذر أكثر الحكام الذين يلتقي بهم من الأصولية (!!) التي تقف وراء هذه البنوك.

والسؤال المطروح:

ما هو الحكم الشرعي في هذه المسألة؟ وما الذي يجب على العلماء فعله؟.

الجواب: فضّل علماؤنا القول في أمثال هذه المسألة، ولندع الجواب فيما يلي لشيخ الإسلام ابن تيمية، يقول رحمه الله:

"كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين؛ وإن تكلمت بالشهادتين. فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا. وإن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة، وكذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق. وكذلك إن امتنعوا عن تحريم الفواحش، أو الربا، أو الميسر، أو الخمر، أو غير ذلك من محرمات الشريعة. وكذلك إن امتنعوا عن الحكم في الدماء والأموال والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة. وكذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار إلى أن يسلموا ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وكذلك إن أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسنة واتباع سلف الأمة وأئمتها؛ مثل أن يظهروا الإلحاد في أسماء الله وآياته، أو التكذيب بأسماء الله وصفاته، أو التكذيب بقدره وقضائه، أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين حتى يدخلوا في طاعتهم التي توجب الخروج عن شريعة الإسلام، وأمثال هذه الأمور، قال تعالى:

﴿لَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ الْفِتْنَةَ ۗ إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۗ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۗ وَسَبِّحْهُ بَدَأَ الثَّلَاثَةَ مِنْ لَيْلٍ وَمِنْ أَوَّلِهَا وَأَبَدًا ۝﴾
﴿لَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ الْفِتْنَةَ ۗ إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۗ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۗ وَسَبِّحْهُ بَدَأَ الثَّلَاثَةَ مِنْ لَيْلٍ وَمِنْ أَوَّلِهَا وَأَبَدًا ۝﴾
﴿لَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ الْفِتْنَةَ ۗ إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۗ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۗ وَسَبِّحْهُ بَدَأَ الثَّلَاثَةَ مِنْ لَيْلٍ وَمِنْ أَوَّلِهَا وَأَبَدًا ۝﴾
﴿لَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ الْفِتْنَةَ ۗ إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۗ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۗ وَسَبِّحْهُ بَدَأَ الثَّلَاثَةَ مِنْ لَيْلٍ وَمِنْ أَوَّلِهَا وَأَبَدًا ۝﴾

... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..
... ..

1 - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مطابع الرياض: 28/510.
2 - سوف نعود - إن شاء الله - إلى الحديث عن مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية وفتواه في قتال التتار عند الحديث عن الاستطاعة.

قيمة ما يصدر عنهم من فتاوى في المسائل المتعلقة بالسلطان ونظامه

جاء في كتاب أعلام الموقعين ما يلي:

"ذكر أبو عبد الله بن بطة في كتابه في الخلع عن الإمام أحمد أنه قال: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور. والثانية: أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة. والثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته. الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس. الخامسة: معرفة الناس. وهذا مما يدل على جلالة أحمد ومحلته من العلم والمعرفة؛ فإن هذه الخمسة هي دعائم الفتوى، وأي نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه"¹.

وعلماء السلطان لا تتوفر فيهم هذه الخصال الخمس، وأنا أنقل فيما يلي كلام ابن القيم في شرحه لهذه الخصال، ثم أعلق عليها:

1 - يقول عن النية: "فكم بين مريد بالفتوى وجه الله ورضاه والقرب منه وما عنده، ومريد بها وجه المخلوق ورجاء منفعتة وما يناله منه تخويفاً أو طمعاً!".

2 و 3 - "فليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار... فبالعلم تنكشف له مواقع الخير والشر والصلاح والفساد، وبالحلم يتمكن من تثبيت نفسه عند الخير فيؤثره وبصبر عليه". ويقول عن السكينة: "وهي طمأنينة القلب واستقراره وأصلها في القلب، ويظهر أثرها على الجوارح... وهذه السكينة هي التي حصلت لإبراهيم الخليل وقد ألقى في المنجنيق مسافراً إلى ما أضرم أعداء الله من النار... وكذلك السكينة التي حصلت لنبينا ﷺ".

¹ - أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، 4/199.

"...
...
...".

... :
...
...:

-
...
...
....

-
... :
...
...!

- - :
...
....

-
....

-
...
...:

التي هي من أهم سمات الديمقراطية، وهي: "الشفافية، النزاهة، المساءلة، والاحترام".
وهذه السمات هي التي تجعل الديمقراطية نظاماً يحترم حقوق الإنسان، ويحافظ على السلام، ويحقق التنمية المستدامة.
وهي التي تجعل الديمقراطية نظاماً يحترم حقوق الإنسان، ويحافظ على السلام، ويحقق التنمية المستدامة.
وهي التي تجعل الديمقراطية نظاماً يحترم حقوق الإنسان، ويحافظ على السلام، ويحقق التنمية المستدامة.

¹ - أخرجه الحاكم في المستدرک وقال: صحیح الإسناد ولم یخرجاه، وذكره الألبانی في السلسلة الصحیحة 1/374.

ليس لأحدٍ منهم عذر

سنمضي تحت هذا العنوان: "ليس لأحدٍ منهم عذر" في الحديث عن رد فتوى هؤلاء العلماء التي تتعلق بالسلطان ونظام حكمه، وفي دحض شبهاتهم التي يدافعون بها عن قبولهم المناصب والأعطيات، فنقول: للعلماء دور كبير في استقرار الحكم والحاكم، وفي إضفاء الشرعية عليه، لأن الناس يحترمونهم، وينتظرون مواقفهم وفتاويهم في الأحداث المهمة، وإن قالوا أصغت الغالبية لقولهم، وتلقته على أنه دين وحكم شرعي.

ولما كان الحكام لا يهتمون بشيء كما يهتمون بمناصبهم وبطاعة الناس لهم، ولما كان العلماء خيراً لهم من أسطول إعلامي ضخم، لهذا وذاك فقد سعوا منذ القديم إلى كسب ود العلماء، واستخدموا معهم سلاح الترغيب تارة، وسلاح التهيب تارة أخرى، ووجدوا بعد خبرة طويلة أن الترغيب أعظم نفعاً وأكثر جدوى من التهيب، وهذا الذي كان يحذر منه أئمة السلف رحمهم الله، يقول سفيان الثوري: "ما أخاف من إهانتهم لي إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم".¹

وكان أبو حامد الغزالي رحمه الله يفتي بعدم جواز أخذ أعطيات الظالمين وقبول ولاياتهم، فقال له بعض الذين يخالفونه فيما أفتى به: إن بعض الصحابة والتابعين كانوا يأخذون أعطيات وجوائز الظالمين، فكان له هذا القول الجميل في الرد عليهم:

"إن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال. بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون

¹ - تليس إبليس، ابن الجوزي، دار الفكر، ص: 122.

به، وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم، فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن بأخذهم بأس، فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامها والتكثرت بهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتركية والإطراء في حضورهم ومغيبهم، فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولاً، وبالتردد بالخدمة ثانياً، وبالثناء والدعاء ثالثاً، وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعاً، وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامساً، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة على أعدائه سادساً، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوئ أعماله سابعاً، لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلاً¹، فإذا لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لإفضائه إلى هذه المعاني فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه؟ فمن استجراً على أموالهم وشبهه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين² اهـ.

إن غشيان العلماء لمجالس الأئمة العدول بقصد تذكيرهم بيوم الحشر والمعاد، وتحذيرهم من الركون إلى الدنيا، وتبليغهم بمظالم الرعية التي لم تبلغهم واجب شرعي لقوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"³، بل هو [النصح] أصل عظيم من أصول الإسلام، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عندما يبايع أحداً، يشترط عليه النصح لكل مسلم. قال جرير

¹ - للشافعي رحمه الله فضائل كثيرة، ولكن أفراد أبي حامد الغزالي لاسمه في هذا الموضوع دليل على تعصبه المذهبي.
² - إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: 2/139.
³ - رواه مسلم في كتاب الإيمان.

بن عبد الله رضي الله عنه: "بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم" ¹.

أما إذا كان السلطان ظالماً مفسداً كذاباً، لا يقبل نصحاً، ولا يفى بوعد، فقد وردت الآثار باعتزال مجلسه، ورفض أعطياته.

- عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يُصدّقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه وهو وارد عليّ الحوض" ².

قال أبو سليمان الخطابي: "ليت شعري من الذي يدخل إليهم اليوم فلا يصدقهم على كذبهم، ومن الذي يتكلم بالعدل إذا شهد مجالسهم، ومن الذي ينصح ومن الذي ينتصح منهم؟ إن أسلم لك يا أخي في هذا الزمان وأحوط لدينك أن تقلّ من مخالطتهم وغشيان أبوابهم ونسأل الله الغنى عنهم والتوفيق لهم" ³.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بدا جفاً، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد عبد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً" ⁴.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفاً، ولا شرطياً، ولا خازناً" ⁵.
ومما يجدر التذكير به هنا أننا قد بيّنا فيما مضى من هذا البحث أن الذين قبلوا المناصب من علماء السلف ما كانوا يبيعون دينهم بديناهم، ولا

¹ - رواه مسلم في كتاب الإيمان، وانظر كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، مصدر سابق، ص: 408.

² - رواه الترمذي في الفتن، ورواه أحمد عن ابن عمر، وقال أحمد شاكر: صحيح الإسناد: 8/62، من المسند [عن الإمامة العظمى، ص: 400].

³ - العزلة والخلطة [عن الإمامة العظمى، ص: 401].

⁴ - أخرجه أحمد في المسند: 2/371، وذكره الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: 3/267، رقم: 1272.

⁵ - رواه ابن حبان في موارد الظمان، كتاب الإمارة.

كانوا يترددون في إنكار المنكر أو بيان الأحكام الشرعية عند الحاجة إليها
متمثلين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير الشهداء حمزة
بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه في ذات الله
فقتله على ذلك " ¹.

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الجهاد
أفضل؟ ورسول الله يرمي الجمرة الأولى فأعرض عنه، ثم قال له عند
الجمرة الوسطى فأعرض عنه، فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في
الغرز قال: أين السائل؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: "أفضل الجهاد
كلمة حق عند سلطان جائر" ².

فإن قال قائل: إن هذه المنكرات التي تتحدثون عنها لا نراها في
مجالس السلطان ومجالس كبار مساعديه وإننا لا نسمع منهم عند
جلوسنا وإياهم إلا كل ما فيه خير للإسلام والمسلمين.

قلنا: يكفينا في رد هذه المقولة الإشارة إلى الأمثلة الثلاثة الآتية:

المثال الأول: مما هو معلوم من الدين بالضرورة أن بعض هؤلاء
السلطين نحوا شريعة الله كلها، وبعضهم نحوا بعض أحكام الشريعة،
وأساءوا تطبيق البعض الآخر الذي أبقوه.

المثال الثاني: لقد تواترت أخبار ظلم السلطين، وتحدثت حتى
منظمات العفو الدولية عن السجون والمعتقلات التي امتلأت بالأبرياء من
خيرة العلماء والدعاة إلى الله، وتقول أدق الإحصائيات الصادرة عن
المحاميين الذين يدافعون عن هؤلاء الضحايا أن عددهم في أحد البلدان
العربية يبلغ ستين ألفاً فضلاً عن عدد المذنبين يعدمون أو عن عدد المذنبين
يقتلون دون أن يحاكموا أو يسجنوا.

هذا ولا يستطيع عالم من العلماء الادعاء بأنه لم يسمع بأخبار الأراضى
التي اغتصبها إخوان الملوك والرؤساء وأبناؤهم من مالكيها الذين ورثوها

¹ - أخرجه الحاكم في المستدرک وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الألباني
في السلسلة الصحيحة 1/374.

² - أخرجه أحمد في المسند: 5/251، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: 1/62
[أنظر الإمامة العظمى: ص: 410].

عن آبائهم أو التي أفنوا سني عمرهم حتى جمعوا ثمنها، وإن أي مواطن يستطيع ضرب أمثلة على هذا الظلم الصارخ مما يحدث في مدينته أو في منطقته.

ولا يستطيع أي عالم من العلماء - أيضاً - الادعاء بأنه لم يسمع بأخبار أصحاب الشركات أو المؤسسات التجارية الذين يذهبون مضطرين إلى إخوان الملوك والرؤساء يعرضون عليهم مشاركتهم بنسبة تتراوح بين الربع والنصف [دون أن يدفعوا قرشاً واحداً] مقابل حمايتهم من إخوانهم أو أبناء عمومتهم، وكلما علت مكانة المسؤول كلما كان السعر باهظاً.

وليس من العلماء من يجهل أمر العصابات التي تتنافس على السلب والنهب، وكل عصابة يتولى قيادتها وحمايتها قطب من أقطاب النظام تبدأ به وتنتهي بأطراف متعددة داخل البلد وخارجه، وقد أطلقت الصحافة في بعض البلدان على هذه العصابات مصطلح (القطط السمان)¹، وصدر في أمريكا وأوروبا عدد من الكتب ومئات المقالات عن هذه الفصائح مثل صفقات الأسلحة وغيرها وغيرها، والعملاء الذين كان دورهم ثانوياً أصبحوا بعد عدد من هذه الصفقات يملكون المليارات من الدولارات فما بالكم بما يملكه رئيس العصابة الذي لا يرضى أحياناً إلا أن يكون ما يدخل جيبه مساوياً لثمن الصفقة التي تم شراؤها.

المثال الثالث: كانت المنكرات والمفاسد التي يرتكبها أئمة الجور شخصية ومحدودة، فكتب التاريخ تحدثنا عن بعض الخلفاء الذين كانوا يقتنون الجواري في قصورهم، وكان الخليفة الذي رق دينه وأسرتة شهوته يتمتع بمن شاء منهن، وقد تشاركه الحاشية في مشاهدتهن وهن يرقصن ويغنين، أما اليوم فقد أنشأت الحكومات دور الإذاعة والتلفاز، ونظمت برامجها وفق مراسيم صادرة عن الجهات الرسمية المختصة، وأصبح الغناء والرقص والموسيقى عملاً مشروعاً عند هذه الحكومات.

¹ - أعني بعض البلدان التي تسمح بهامش يسير من الحرية.

كنا بالأمس وقبل بضعة عقود نستنكر فتح سينما في مدينة من المدن، أما اليوم فقد دخلت هذه السينما بل عدد كبير من دور السينما إلى كل بيت، وأصبحت الأجيال الناشئة تتربى على ألفاظ المغنية وحركاتها ومعاني الأغنيات الهابطة، وعلى كل هذا الذي جاءوا به مما يחדش الحياء، ويحض على الرذيلة... وزادوا الطين بلة عندما أدخلوا ما أسموه البث المباشر، وكأن بلاء ما أحدثوه من مفاسد محلية لا يكفى فعملوا على إدخال كل فساد في أوروبا وغيرها، ثم دفعوا شركاءهم من أصحاب رؤوس الأموال إلى إنشاء أجنبية فضائية في البلدان الأوربية موجهة نحو البلدان العربية تخاطبهم بلغتهم، وتتم مهمة إفساد الأجيال لأنها خارج حدود الرقابة - هكذا يعتذرون - .

هذا عن دور الإذاعة والتلفاز: أما الصحافة فقد أصبحت وقفاً على العلمانيين من أهل الكفر والزندقة وعلى المنافقين الذين يبذلون مواقفهم كما يبدل المرء ثوبه، ونجح المشرفون¹ على هذه الصحف المشهورة في تجنيد الكتاب المعروفين بعدائهم للإسلام: مثل النصارى [وخاصة الموارنة من نصارى لبنان]، وقلول الرافضة الحاقدين، وشياطين اليسار الذين يعملون اليوم في معية من كانوا بالأمس ألد أعدائهم، ودعاة القومية العلمانية، ومنظري الأنظمة الرأسمالية اليمينية... كل هؤلاء الكتاب الذين يختلفون في الوسائل والعقائد جنود في حزب الشيطان، ويدركون جيداً أنهم من خلال عملهم في هذه الصحف يخوضون معركة ضد حزب الرحمن.

والناظر في هذه الصحف - الرسمية منها أو شبه الرسمية - يقرأ فيها الإعجاب بالفلسفة الوجودية والسخرية من الصحابة والتابعين وتابع التابعين، ويسلكون في ذلك أساليب خبيثة ظاهرها ما يسمونه البحث العلمي وحقيقتها التشكيك والدس والافتراء، كما يقرأ فيها حملات إرهابية

¹ - إنهم من أقطاب الأنظمة الحاكمة، وينفقون أرقاماً خيالية من أموال الأمة من أجل شراء ضمائر هؤلاء الكتاب.

حاقدة ضد الإسلاميين، وضد الإسلام السياسي [كما يدعون]، بحجة عداوة دعاة الإسلام السياسي للأنظمة التي تمتلك هذه الصحف وتشرف عليها.

ويقرأ فيها اهتمام منقطع النظير بأخبار الرياضة والرياضيين مع إبراز صورهم، وأنباء بطولاتهم المزعومة، ويقرأ فيها أخبار الراقصات والمغنيات يرافقها دعوة صريحة إلى ترقب ومشاهدة برامجهن في دور الإذاعة والسينما والتلفاز، ويقرأ أخبار المسؤولين مع نسائهم في حلهم وترحالهم، ويرى أشكالهم التي لا تختلف عن أشكال الكفار.

أما الإسلاميون فقد حيل بينهم وبين إصدار الصحف الخاصة بهم، كما حيل بينهم وبين الدفاع عن دينهم في صحافة القوم العلمانية إلا في حدود ضيقة جداً ومحدودة، فحتى المساواة بين الحقوق الممنوحة للعلمانيين والإسلاميين معدومة عند هؤلاء السلاطين، ولا أعدو الحقيقة عندما أقول: لا يمتلك الإسلاميون في طول البلاد وعرضها صحيفة إسلامية يومية واحدة، ولو صدرت مثل هذه الصحيفة في دولة أوروبية¹ لفرض عليها حصار يحول بينها وبين الوصول إلى معظم البلاد العربية إن لم يكن إليها كلها.

قد يقول قائل: بل هناك مجلات إسلامية تصدر في بعض البلدان العربية! فأقول: هذا صحيح، ولكن السلاطين وأجهزة أمنهم يقفون وراء هذه المجلات التي تتخذ من الإسلام والمسلمين شعاراً واسماً تتسمى به وهي في حقيقتها ليست أكثر من مسجد من مساجد الضرار، ولهذا فهي مسخرة للتشجيع على الدعاة والجماعات الإسلامية، كما أنها مسخرة للتشكيك ببعض أصول الإسلام التي تغضب السلطان.

إذن: كيف يقول بعض العلماء: إننا لا نرى هذه المفاسد والمعاصي في مجالس السلاطين التي نتردد عليها؟! نسألهم بالله أن يرهفوا سمعهم، ويدققوا نظرهم، وأن لا ينظروا إلى

¹ - إن التعاون من أجل إصدار هذه الصحيفة واجب على الإسلاميين، كما أن خوض هذا الميدان بعمومه واجب.

ما حولهم بعين الرضى والمنفعة، بل بعين الورع والتقوى
والزهد، ولو استجابوا لسؤالنا هذا لأيقنوا أن مفاسد
السلطين قد ملأت البر والبحر والجو [نقصد بالجو ما يحدث
من مفاسد على طائراتهم]، ولعلموا أن اعتزال مجالس
السلطين من أضعف الإيمان.

وبعد هذا الاستطراد عن فساد السلطين وظلمهم وتنحيهم لشريعة
الله، نعود إلى قول سفيان الثوري: "ما أخاف من إهانتهم لي إنما أخاف
من إكرامهم فيميل قلبي إليهم".

رحم الله هذا الإمام الجليل، لقد كان ينظر بنور الله جلَّ
وعلا إلى واقع عصرنا وما سبقه من عصور ويصفها وصفاً
دقيقاً، ولو فطن العلماء اليوم إلى أبعاد قول سفيان لأعادوا
النظر في كثير من مواقفهم التي كانت في بدايتها ليست
أكثر من اجتهاد خاطئ فيه كثير من الغفلة وعدم التبصر
بعواقب الأمور، ثم انتهت إلى المراوغة والشقاق والنفاق
عند كثير منهم والعياذ بالله.

قلت غير مرة: رأيت صنفين من الحكام في هذا العصر:
صنف منهم: حاربوا الإسلاميين عامة دون أن يفرقوا ما بين
داعية وداعية آخر أو بين جماعة وجماعة أخرى، وفضلاً عن
ذلك فقد دعوا إلى الشرك والإلحاد والزندقة، وسخروا من
الدين وسموا المتدينين رجعيين... وهؤلاء كانت عاقبتهم
وخيمة، وقد أذلهم الله وجعلهم عبرة لكل من يعتبر ويتعظ،
وانقلب سحرهم على الساحر بعد هلاكهم، وأكسب صنيعهم
هذا الدين أعواناً وأنصاراً، وأصبحت أفكارهم وقوميتهم
وتقدميتهم مجالاً واسعاً للتندر والسخرية.

وصنف آخر: قربوا إليهم العلماء، وأسندوا إليهم وظائف
كبيرة ولكنها خاوية من المضمون الفعال، وأغدقوا عليهم

الأموال ومنحوهم الأراضي الواسعة والمنح المجزية، فاغتنى هؤلاء العلماء بعد فقر مدقع، وتلذذوا بنعم الدنيا التي ما كانوا يسمعون بها بعد خشونة العيش التي تربوا عليها وعاشوا في كنفها أبا عن جد، واعتادوا ركوب السيارات الفارهة، وملكوا مئات الملايين من الجنيهات والدولارات... وباتوا أسرى لما امتلكوه، وتناسوا أنهم كانوا من قبل يحذرون الحكام مما وقعوا هم فيه، وتعذّر عليهم التخلي عن مكاسبهم ووظائفهم وأعوانهم وجلسائهم.

وهكذا كانت سياسة هذا الصنف من الحكام أكثر تدميراً وأسوأ عاقبة من سياسة الصنف الأول، وتمكن السلاطين الذين يدعون أنهم حماة لدين الله من نقض العديد من عرى الإسلام بعد أن ضعفت نفوس كثير من العلماء، ووقعوا في تناقضات مؤسفة، وقعدوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وصدق أبو حامد الغزالي رحمه الله فالسلاطين لا تسمح نفوسهم بعطية إلا للذين يطمعون في استخدامهم، والاستعانة بهم على أغراضهم، ولو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال وبالتسكع على الأعتاب، وبإظهار الحب والموالة، وبالستر على ظلم السلاطين وفسادهم وقبائح أفعالهم، لم ينعم عليهم هؤلاء بدرهم واحد.

تذكير بمنهج الاستدلال عند أهل السنة

يطير أعضاء حزب الولاية فرحاً بكل فتوى شاذة إذا كانت مما يرضاه ويريده السلطان، ويبدلون جهداً واسعاً من أجل تدريسها وترسيخ معانيها، ثم من أجل إشاعتها بين أكثر عدد ممكن من الناس.. ومما فعلوه في هذا المجال: جمع هذه الأقوال والفتاوى وإصدارها في كتيبات على شكل متون، وتولوا هم (!!) شرح هذه المتون بأساليبهم المتعسفة المعوجة وبألفاظهم البذيئة الشائنة.

وبحجة شرح هذه المتون أطلقوا ألسنتهم في شتم وتجريح من نحسبهم من خيرة العلماء والدعاة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وما كان لهؤلاء من ذنب إلا قيامهم بواجب بيان الحكم الشرعي عندما دعت الحاجة إلى بيانه.

وبحجة شرحهم لهذه المتون قرروا أن العلماء الذين قالوا قولاً يرضاه السلطان الظالم المغيّر لشرع الله هم المرجعية المعتبرة لأهل السنة والجماعة في هذا العصر، ولا يجوز لأحد أن يتقدم عليهم بقول أو فعل... ومن تجراً على ذلك فهو عندهم: مبتدع، متطرف، ضال، مضل، ويستعدون عليه ولاة الأمر دون النظر إلى ما عنده من أدلة شرعية، ودون النظر إلى ما في هذه الأدلة من صواب وخطأ، بل ولو أن أحداً من العلماء الكبار قال قولاً واحداً يغضب ولي أمرهم لأخرجوه من عضوية هذه المرجعية، وأطلقوا ألسنتهم بنهش عرضه، ويتناسون أنهم قبل أيام أو ساعات قلائل كانوا يعدونه من أولياء الله، ويتهمون كل من ينقده.

لا أريد الإطالة في وصف تناقضات حزب الولاية، وانتقالهم بسرعة فائقة من النقيض إلى ضده لأنني قد فصلت القول بأمرهم فيما مضى من هذا البحث، وإنما أريد الوقوف قليلاً عند مسألة المرجعية لأنني رأيت أن هذه المسألة قد التبست على بعض طلاب العلم الطيبين، فعندما

تحدث مع أحدهم، وتسرد له ما عندك من أدلة شرعية يستمع إليك حتى إذا فرغت من مسألة قد أشبعتها بحثاً ودراسة قال لك:

ولكن الشيخ ... [وهو من هو] قال بخلاف ذلك.

وتقول له: يا أخي أنت طالب علم، وأنا قد عرضت عليك أدلة شرعية من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال العلماء أو إجماعهم، فكيف تعرض عن ذلك كله وتتمسك بقول للشيخ؟!.

فيكون رده: لا أعتقد أن الشيخ قد غابت عنه هذه الأدلة عندما أفتى بغير ذلك، ثم يغلق باب الحوار معك عند تمسكه بقول الشيخ.

آخرون من طلاب العلم يخشون من إرهاب غوغاء حزب الولاية لاسيما وهم يرون بأعينهم صلاتهم الوثيقة بأجهزة الأمن، ويرون أيضاً عاقبة من خالفهم وقال بغير قولهم، بسبب هذا وذاك يلجأ طلاب العلم هؤلاء إلى التقية فيقولون:

القول عندنا ما يقوله شيوخنا، ثم يذكرون أسماء هؤلاء الشيوخ التي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة... وهذه هي المرجعية الإسلامية عندهم في العالم كله!!.

لهؤلاء الطيبين من طلاب العلم، أقول:

تعالوا أستعرض وإياكم ما تعلمناه من علمائنا وأئمتنا، والذي لا خلاف فيه بين أهل السنة والجماعة المتمسكين بمنهج السلف الصالح:

1 - مما اتفق عليه المسلمون أن ترد الأمور التي يختلفون فيها إلى

كتاب الله وسنة نبيه. قال تعالى: ﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾

"...
...
...".

- ...
...
...
...
...
...

"...
...
...".

"...
...".

- ...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...".

- ...
...

1 - إعلام الموقعين: 1/49.
2 - صحيح، كما قال الترمذي، انظر "الإرواء" (2521) و "السنة" لابن أبي عاصم رقم 31/54 [عن حاشية شرح العقيدة الطحاوية 431].
3 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للكائني رقم (317).
4 - جامع البيان، لابن عبد البر: 1/97، وشرح العقيدة الطحاوية [432].

00000000
 00000000 00000000 0000
 00000000

000 0000000 000 00000000 00000000 0000 000 00 0000000 00 :00000 00000 00
 000000 000000 000000 000000000 0000 00000 000 00000000 00 0000000 000000 00000000
 0000 00000000 000000000 000000000 00000000 00 0000 0000000000000 00000000 0000000
 0000000 0000 00000 00 00000 00 00000 000 00000 00000000 0000000 0000000 00000000000
 .000000 0000 00000000

.. لكنهم لا يتعظون

إن واقع حال العلماء الذين ساروا في ركاب السلاطين الظلمة، ومذكراتهم التي كتبوها قبل مغادرتهم لهذه الدنيا الفانية [رغم ندرتها] تؤكد بأن السلاطين ما كانوا يحبونهم رغم الخدمات المهمة التي قدموها لهم في أيامهم الحرجة، وذلك لأن هؤلاء العلماء مهما بلغوا من رقة الدين، ومن القدرة الفائقة على النفاق لا يستطيعون تجاوز خط معين في هذا التعامل، فلم ينقل إلينا عن أحد منهم أنه كان يتعاطى المخدرات، أو يشرب الخمر، أو يدعو إلى الشرك والزندقة، أو يوالي أعداء الله من اليهود والنصارى، أو يتبنى عن قناعة حرب الله ورسوله والذين آمنوا. هذا وسوف نختار الأمثلة التالية على ذلك:

1 - يقول الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف في حكومة الثورة المصرية عام 1952: "وقد كانت بطانة عبد الناصر من أسوأ البطانات في الأرض إلا قليلاً ممن عصم الله، فكانوا يحرصون على استغلال قريهم منه: إما رجاء لخيره، وإما اتقاء لشره، وهم مع ذلك قليل جداً. ولقد كان من أشد ما ابتلاه الله به، أخذه بالنظام الهتلري في حكم الشعب، واستعانته برجال المخابرات النازية الذين حاولوا أن يصنعوا بمصر ما كانوا يصنعونه بألمانيا في عهد هتلر".

ويقول أيضاً: "وليس يرتاب الذين يؤرخون لهذه الثورة في أنها كانت كسائر الثورات، تستند إلى أمرين: أحدهما التوسع في نشر الجاسوسية، وثانيهما اصطناع أنصار يستغلون صلاتهم بالثوار. فأما التوسع في نشر الجاسوسية، فقد اقترن في أذهان الناس بأنه كلما استطاع الجاسوس أن ينصب شركاً لأحد خصوم الثورة، كان أولى بالرعاية والثقة به. وكان بعض هؤلاء يصطنعون في كل بيت، وكل مكتب أصدقاء لهم يأتونهم بأخبار - صادقة أو كاذبة - لقاء أجر معلوم، وقد نشأ عن ذلك أن أصبح

الوالد يتجسس على ابنه، والجميع ينتظرون من الدولة حسن المثوية وجزل العطاء في منصب يسند إليهم أو مغنم يدر عليهم أخلاف الرزق الواسع"¹.

إن أجهزة التجسس تختلف من حيث القوة والضعف من بلد لآخر، ولكن لابد في النهاية من فرض المراقبة على كبار المسؤولين من العلماء، وقد تناط هذه المهمة بالشرطي الذي يحرس الشيخ أو بسائق سيارته أو بمدير مكتبه، وهذا كله غير أجهزة التصنت ذات التقنية العالية، وإذا كانت ظروف الشيخ الباقوري قد مكنته من نشر مذكراته بعد هلاك عبد الناصر، فغيره غير قادر على ذلك، أو لا يريد أن يقدم على عمل يفضح فيه نفسه.

وأكد أقرر أنه ما من شيخ أسندت إليه مسؤولية كبيرة قد سلم في النهاية من بطش السلطان خاصة إذا تجاوز الخطوط الحمراء المرسومة له، وعندما يحدث مثل هذا التجاوز تصدر الأوامر الفورية بعزله، وقد يسمع خبر هذا العزل في الإذاعة كغيره من الناس، وقد تفرض عليه الإقامة الجبرية في منزله، ثم تبدأ السلطة بطريقة خبيثة بتسريب وثائق تفضح سيرة الشيخ، وتكشف سوء استخدامه للسلطة:

- فهذه صورة "شيك" مهور بتوقيع الرجل الأول في الدولة تشير إلى استلام الشيخ مبلغاً كبيراً من المال مقابل فتوى شاذة أفتى بها أو مقابل خدمة مشبوهة قدمها للنظام.

- وتلك وثيقة أخرى تتحدث عن اختلاس الشيخ لعقار كبير من أملاك الدولة العامة التي كانت تتبع وزارته قبل عزله.

وفي غير هذا وتلك قد يتحدث الناس عن مؤامرة مزعومة، وقد يعترف المتآمرون تحت وطأة التعذيب بأنهم كانوا ينسقون أمورهم مع الشيخ،

¹ - بقايا ذكريات، للشيخ أحمد حسن الباقوري، ص: 205 و 237، وقد طرد الشيخ من الوزارة، بسبب وشاية كاذبة، ولم تشفع له الخدمات النادرة التي قدمها لعبد الناصر ونظام حكمه.

وقد يكون معظم هذه الوثائق مختلفاً ولا أصل له، والمقصود من ذلك تشويه سمعة الشيخ.

يتحدث الشيخ أحمد حسن الباقوري عن عدد من الشائعات التي روجها النظام ضده بعد طرده من الوزارة، ومن ذلك قوله:

"ولست أنسى ابني عبد العزيز عبد الوارث الدسوقي، الذي جاء في صباح اليوم التالي لاستقالتي مغيظاً محنقاً، ثم أخبرني أن من الاشاعات التي أطلقوها ضدي إشاعة غبية بقدر ماهي مضحكة، ووجه الإضحاك والغباء في هذه الشائعة أنني كنت في رحلاتي العالمية أحمل معي في حقيبة يدي عملات مختلف البلاد التي كنت أزورها، من فرنكات سنغالية، وأخرى فرنسية، وجنيهاً استرلينية، وكانت هذه الحقيبة تأخذ مكانها في مكتبي بالوزارة مع مذكراتي ومقالاتي التي كنت أريد أن أحتفظ بها، وقد استولى القوم على هذا كله، طانين أنه يحمل أسراراً تثبت أنني أدبر مؤامرة ضد عبد الناصر.

وكان كل ما في تلك الحقيبة لا يجاوز ثلاثمائة جنيه في عملات مختلفة. فقالت الإشاعات: إن عبد الناصر صادر منذ أيام بنك موصيري، ولم يعلم أن بنك موصيري موجود في حقيبة الشيخ الباقوري"¹.

فهل عاد الشيخ إلى رشده بعد هذه الإهانات التي تلقاها من عبد الناصر ونظامه.. وهل اقتنع بأنه كان يخلق في غير سره؟!.

لا، لم يعد إلى رشده، وسارع إلى قبول أول عرض يعرضه عبد الناصر عليه، مع أنه كان أقل من منصب وزير، وبعد هلاك عبد الناصر انضم إلى الجوقة التي تصفق لأنور السادات، ومن الأمثلة على ذلك الكلمة التي ألقاها في مؤتمر نظمتها الحكومة لتأييد السادات والتنديد بمعارضيه، وكان مما قال فيه:

¹ - بقايا ذكريات، الباقوري، ص: 248.

"إن السلطان هو ظل الله في الأرض.. وظل الله في الأرض له حرمة ومهابة فلا يجوز المساس بالسلطان أو الإساءة إليه بكلمة.. حتى أن الفقهاء قالوا إذا كان السلطان يركب بغلة، وذيل بغلة السلطان مقطوع.. فلا يجوز التهكم على ذيل بغلة السلطان.. فكيف بالتهكم على السلطان"¹.

هذا والباقوري يعرف السادات جيداً، ويعرف الكثير عن حياته الخاصة قبل انقلاب يوليو 1952، ويعرف ما أثير ضده من قضايا سلوكية داخل مجلس قيادة الثورة مما جعل نجيب يتبنى قرار فصله من المجلس، وقد عطلَّ هذا القرار تدخل عبد الناصر ليكسب صوتاً ضد نجيب، ومن ثم فإن هذا الدفاع عن السلطان وذيل بغلته جاء بعد استسلام السادات لإسرائيل وزيارته الذليلة لهم في القدس، وكان من المنتظر أن يقول الباقوري في هذه المناسبة كلمة يتقرب بها من ربه، لا سيما وأنه قد بلغ من الكبر عتياً.

2 - في شهر جمادى الأولى من عام 1398هـ وقف الشيخ محمد متولي شعراوي في مجلس الشعب المصري يرد على المعارضة، ويعدد فضائل رئيسه أنور السادات، وكان مما قاله:

" لو كان الأمر بيد لاعتبرت السيد رئيس الجمهورية في مقام الذي لا يسأل عما يفعل " وقال أيضاً:

" لو كان الأمر بيدي لأصدرت أمراً بمنع أذان الفجر بالميكروفون في جميع أنحاء الجمهورية والاقتصار في النداء على الصلاة بالصوت الطبيعي".

وكان الشيخ محمد عاشور [عضو مجلس الشعب المصري] من أبرز الذين تولوا الرد على الشيخ الشعراوي، ولهذا السبب فقد استغل حزب

¹ - مجلة المجتمع، العدد: 476 تاريخ: 9/5/1400هـ عن الصحف المصرية الصادرة في هذا التاريخ.

السادات أكثريته في المجلس وأقدم على إسقاط عضوية الشيخ عاشور¹، نسأل الله أن يرزقه الأجر والثواب على إنكاره لهذا المنكر. ومن المؤسف حقاً أن الشيخ الشعراوي قد استمر على إصدار مثل هذه التصريحات رغم خروجه من الوزارة، وتقدمه في السن، وشدة وطأة الأمراض عليه، ومن الأمثلة على ذلك قوله مخاطباً الجماعات والمدعاة في صحن الأزهر: "إن من يثير هذا الضجيج هم دخلاء على الإسلام، ومدسوسون بين الشباب حتى يفسدوا عليهم مجالسهم ولقاءهم بالعلماء"².

تأمل-أخي القارئ- قوله "دخلاء على الإسلام ومدسوسون بين الشباب.. " وهؤلاء من صفوة الدعاة الخيرين من أبناء مصر فكيف يتجنى عليهم انتصاراً للسلطان وحزبه؟!.

3 - أما الدكتور عبد العزيز كامل فقد كان أحد السابقين الأولين في جماعة الإخوان المسلمين، وتولى فيها مسؤوليات مهمة نهض بها بجدارة، وكان من خلال مسؤوليته عن قسم الأسر في الإخوان يندد بالسطحية وثقافة المحاضرات والندوات العامة، ويدعو إلى الدراسة والبحث والتعمق في فهم الأمور، كما كان بعيداً عن الخلافات وسياسة المحاور.

وعندما وقعت المحنة عام 1954م وأدخل الإخوان إلى السجون، وكان عبد العزيز كامل من بينهم لم يستطع الصبر على حياة السجون وما فيها من تعذيب واضطهاد وتنكيل، لهذا فقد استجاب لكل ما يطلبه نظام عبد

¹ - أقوال متولي شعراوي ورد عاشور عليه أسفرت عن معركة إعلامية في الصحف المصرية، فكان من الصحفيين من ينتصر للأول، وهؤلاء يحركهم النظام في الصحف الكثيرة التابعة له، ومنهم-وهم قلة- من ينتصر للشيخ عاشور، ولينظر من شاء ما كتب في الصحف المصرية في شهر جمادى الأولى من عام 1398هـ، وما صدر من مؤلفات تضمن بعضها محضر هذه الجلسة.

² - كان ذلك في أول يناير سنة 1989م ومن العلماء الذين شاركوا شعراوي في التوقيع على هذا البيان: الشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمد الطيب النجار، والشيخ عبد الله المشد، والشيخ عطية صقر، والشيخ عبد المنعم النمر، والشيخ يوسف القرضاوي.

الناصر منه، ومقابل هذه الاستجابة فقد أفرج عنه، وأسندت إليه حقيبة وزارة الأوقاف، وانتقل من النقيض إلى ضده، ولله في خلقه شؤون. وعندما ابتلي الإسلام والمسلمون في مصر عام 1965م ساهم عبد العزيز كامل ووزارته في إحدى جرائم العصر المهمة، وكان بعض شيوخ هذه الوزارة يعملون داخل السجون جنباً إلى جنب مع رجال الأمن، أما عبد العزيز كامل فقد كان يكتب المقالات التي يدافع فيها عن عبد الناصر ويشبه نظامه بدولة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، كما يشبه الإخوان المسلمين وسيد قطب بالمنافقين واليهود في المدينة، وهؤلاء المنافقون واليهود كانوا على اتصال دائم بالمشركين خارج المدينة¹.

واستمر عبد العزيز كامل في المشاركة بالجريمة طوال عهد عبد الناصر، وفي مرحلة من عهد خليفته -أنور السادات- حيث اضطر إلى ترك الوزارة أمام ضغط نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية عليه الذي كان يكره كل من له خلفية إسلامية².

وانتقل عبد العزيز كامل بعد تركه الوزارة إلى العمل مستشاراً لرئيس دولة عربية خارج مصر!!، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله، نسأل الله السلامة من مضلات الفتن.

إن هؤلاء وغيرهم كثير عندما انزلقوا في هذا الطريق الموحش، وألّفوا هذه الحياة، أدركوا رغم كل ما قدموه للسلطان أنهم لن يستطيعوا إرضاءه، وأنهم لن يبلغوا ما بلغه زملاؤهم العلمانيون، وما ذلك إلا لبقايا من دين في قلوبهم، ورغم ذلك فقد أصروا على المضي في هذا الطريق

¹ - كان ينشر مقالاته في مجلة الاشتراكي، الأعداد: 18،90،29 عام 1965م، ومن العناوين التي كان يختارها " عندما تختفي الخيانة وراء الدين". [عن الاعتصام المصرية يناير 1980م]

² - هذا ما سمعته ممن كانت لهم صلة بعبد العزيز كامل، أما هو فكان يرفض الحديث أو الكتابة عن سيرة حياته سواءً في الإخوان أو في الحكم.

وعز عليهم التوبة الصادقة، وهذه عاقبة من طلب رضى الناس بسخط الله.

نصيحة: إن هذه الحياة الدنيا لا تساوي عند الله سبحانه وتعالى جناح بعوضة، لأنها متاع زائل لا محالة مهما طال أجل المرء، وعلا شأنه، وكثر ماله، وعندما تبلغ الروح الحلقوم تتراءى الأعمال أمام ناظري المتوفى فيتمنى أن يخرج من هذه الدنيا لاله ولا عليه. قال الله جلَّ وعلا على لسان مؤمن آل فرعون الذي كان يعظ قومه ويحذرهم من سوء العاقبة:

يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُنذِرِينَ
إِنِّي أَخافُ أَنَّ كُنْتُمْ لِلآيَاتِ الْكُبْرَىٰ كَافِرِينَ
[سورة غافر: 1-3].

يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُنذِرِينَ
إِنِّي أَخافُ أَنَّ كُنْتُمْ لِلآيَاتِ الْكُبْرَىٰ كَافِرِينَ
يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُنذِرِينَ
إِنِّي أَخافُ أَنَّ كُنْتُمْ لِلآيَاتِ الْكُبْرَىٰ كَافِرِينَ
[سورة غافر: 1-3].

يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُنذِرِينَ
إِنِّي أَخافُ أَنَّ كُنْتُمْ لِلآيَاتِ الْكُبْرَىٰ كَافِرِينَ
يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُنذِرِينَ
إِنِّي أَخافُ أَنَّ كُنْتُمْ لِلآيَاتِ الْكُبْرَىٰ كَافِرِينَ
[سورة غافر: 1-3].

... ..

-

... ..

... ..

""

""

◆◆◆³ ""

1 - فليراجع من شاء البداية والنهاية، الجزء الرابع عشر، ومما يقتضي التنبيه في هذا
المقام أن عصر ابن كثير غير عصرنا، ولا يستوي في التشبيه سلطان ظالم ولكنه
يحكم شرع الله، وأخر اتخذ من نفسه نداً لله.
2 - أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه.
3 - جامع بيان العلم وفضله: 1/167.

سؤال وجوابه

قيل لي: كُنتَ مسترسلاً في نقدك لمنهج حزب الغلاة، ولطريقة تعاملهم مع مخالفيهم، ثم وجدناك تنتقل فجأة - ومن غير مقدمات - إلى موضوع آخر يختلف عما كنت في صدده، بل رحلت وربما كان ذلك عن غير قصد تقدم أدلة سوف يكون الغلاة أول من يستفيد منها في الدفاع عن أنفسهم، وفي تبرير وجود حزبهم، وفي الرد بها عليك، ألا تظن أن هذا الاستطراد أقحم إقحاماً في بحثك؟!.

قلت: هذا الذي سميتَه أنت استطراداً لم يقحم إقحاماً في بحثي، وكنت قد كتبتَه قبل حوالي سبعة عشر عاماً، ثم أَطَلَعْتُ عليه غير واحد من أهل العلم والفضل واستفدت من ملحوظاتهم، وعندما جاء دور نشره رأيت أن ذلك غير ممكن إلا إذا كان المؤلف اسماً وهمياً، ومثل هذه الموضوعات المهمة لن تُعطي حقها من العناية والاهتمام إلا إذا دُيِلت بأسماء معروفة في أوساط الدعاة، ولا بد أن يكون الكاتب مستعداً لكل ما يترتب على ما يكتبه من تبعات وأعباء، ولما كان ذلك غير متيسر حينئذٍ، فقد وضعت هذا البحث في خزانة المحفوظات بمكتبتي، التي أحافظ عليها كما أحافظ على سلامة ابن من أبنائي، ولا أهتم بغيرها من أثاث المنزل عندما تنتقل من بيت إلى بيت آخر أو من بلد إلى بلد آخر.

وبينما كنت مستغرقاً - كما قال السائل - بنقد منهج حزب الغلاة رأيت أن علماء السلف قد أشبعوا موضوع الخروج على أئمة الجور بحثاً في حين يتهيب معظم الفضلاء من علماء عصرنا من بيان الحكم الشرعي في الحكام المبدلين لشريعة الله، أما غير الفضلاء من المنسويين إلى العلم وأهله فلم يعد نفاقهم وتزلفهم للطواغيت يحتمل، وهنا فقد رأيت أن الواجب الشرعي يحتم عليّ أن أساهم في سد هذه الثغرة، ولهذا فقد أخرجت هذا البحث من خزانة المحفوظات، ثم نفضت الغبار عنه،

وقرأته غير مرة، ثم قمت باختصاره لأنني كنت أرى من قبل إخراجه في كتاب مستقل، ومع الاختصار كان لابد من تهذيب عباراته لأن للسّن دوراً في اختيار الكلمات الهادفة المفيدة، واستبعاد كل ما لا فائدة أكيدة فيه، وجملة القول: لم يكن هذا البحث وليد الارتجال، وقد جاء والحمد لله في موضعه المناسب.

أما قول القائل: إنك قدمت أدلة سوف يكون الغلاة أول من يستفيد منها... الخ، فمعاذ الله أن أحجب ما أعتقد أنه حق فيما أكتب كي لا تستفيد منه الجهة التي أخالفها، ولا أقبل إن شاء الله أن يكون هدفي مما أكتب إفحام الخصم والإجهاز عليه بشتى الوسائل والطرق المشروعة منها وغير المشروعة.

وإن الحق الذي أدين الله به أن انحرف كثير من أدعياء العلم وتقديمهم الفتاوى الباطلة للظالمين مقابل حصولهم على عرض من أعراض الدنيا الفانية هو سبب من أسباب انحراف دعاة الغلو، وعندما يجد هؤلاء المرجعية الصادقة المستقلة من العلماء الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فلسوف يتراجعون [أو يتراجع معظمهم] عن تنطعهم وغلوهم، وهذا ما نرجوه ونأمله ونعمل من أجله.

أعود بعد ذلك إلى الفقرة التي سبقت هذا الاستطراد فأقول:

"إن رايات الكفر البواح في عالمنا الإسلامي الكبير ترفرف خفاقة عالية فوق مباني البنوك الربوية التي يكاد لا يخلو منها حي أو قرية، وفوق مباني المؤسسات التشريعية والقضائية التي لا يسمح فيها لمن يشاء من القضاة أن يساوي بين شريعة الله والشريعة التي سنّها زعيم الدولة فضلاً عن تفضيله لشريعة الله، وترفرف رايات الكفر البواح أيضاً فوق مباني التلفاز ودور السينما وأوكار الرذيلة، وفوق مصانع ومحلات بيع الخمر، وليست المشكلة هنا فيمن يشرب الخمر أو يرتاد دور السينما ويشاهد مناظر العرايا من النساء والرجال، ولكن المشكلة فيمن سنّ

القوانين التي تبيح هذه المنكرات، وأعيد للأذهان قول رشيد رضا الذي استشهدت به قبل قليل وخصاله:

من المسائل المجمع عليها قولاً واعتقاداً: إن إباحة المجمع على تحريمه: كالزنا والسكر، واستباحة إبطال الحدود وشرع ما لم يأذن به الله كفر وردة"¹.

لا نستطيع أن نقف صمّاً بكماً أمام هذه المسألة الخطيرة لأن الله سبحانه وتعالى قد أوجب علينا إيضاح الأحكام عند الحاجة إليها، وحرّم علينا السكوت، فقال جل من قائل: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي مَالِكُمْ خَلِّئْهُنَّ فِي حُرْمَتِهِنَّ وَأَبْغُوا فِيهِنَّ مِثْلَ بَغْيِكُمْ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي الْحُرْمَتِ**

الْحُرْمَةُ مَقْرُونَةٌ بِلِلَّاهِ فِي مَالِكِهِمْ وَنَفْسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي مَالِكُمْ خَلِّئْهُنَّ فِي حُرْمَتِهِنَّ وَأَبْغُوا فِيهِنَّ مِثْلَ بَغْيِكُمْ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي الْحُرْمَتِ الْحُرْمَةُ مَقْرُونَةٌ بِلِلَّاهِ فِي مَالِكِهِمْ وَنَفْسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**

1 - **سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ إِنَّ اللَّهَ لَكَلِيمٌ عَقِيمٌ** **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي مَالِكُمْ خَلِّئْهُنَّ فِي حُرْمَتِهِنَّ وَأَبْغُوا فِيهِنَّ مِثْلَ بَغْيِكُمْ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي الْحُرْمَتِ الْحُرْمَةُ مَقْرُونَةٌ بِلِلَّاهِ فِي مَالِكِهِمْ وَنَفْسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**

2 - **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي مَالِكُمْ خَلِّئْهُنَّ فِي حُرْمَتِهِنَّ وَأَبْغُوا فِيهِنَّ مِثْلَ بَغْيِكُمْ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي الْحُرْمَتِ الْحُرْمَةُ مَقْرُونَةٌ بِلِلَّاهِ فِي مَالِكِهِمْ وَنَفْسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**

3 - **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي مَالِكُمْ خَلِّئْهُنَّ فِي حُرْمَتِهِنَّ وَأَبْغُوا فِيهِنَّ مِثْلَ بَغْيِكُمْ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي الْحُرْمَتِ الْحُرْمَةُ مَقْرُونَةٌ بِلِلَّاهِ فِي مَالِكِهِمْ وَنَفْسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**

4 - **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي مَالِكُمْ خَلِّئْهُنَّ فِي حُرْمَتِهِنَّ وَأَبْغُوا فِيهِنَّ مِثْلَ بَغْيِكُمْ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي الْحُرْمَتِ الْحُرْمَةُ مَقْرُونَةٌ بِلِلَّاهِ فِي مَالِكِهِمْ وَنَفْسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**

1 - سبق لي تقرير هذه الفقرة فيما سبق من هذا البحث، وجدير بالذكر أن كثيراً من العلماء قالوا بمثل ما قاله رشيد رضا.
2 - اكتفيت بذكر أهم هذه الشروط.

מסמכים אלו יבוצעו על ידי המוסדות המוסמכים. המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו. המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו.

המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו. המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו.

המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו. המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו.

המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו. המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו.

המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו. המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו.

המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו. המוסדות המוסמכים יבצעו את המשימות המוטלות עליהם על פי הכללים וההנחיות שיקבעו.

العلمانية في ديار المسلمين علمانية
في دساتيرها وقوانينها ومراسيمها الإدارية وسائر شؤون الحكم فيها،
وسدنتها لا ينكرون ذلك في تصريحاتهم ومواقفهم التي لا تنقطع:
كقولهم: لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، ومنعهم منح ترخيص
للأحزاب على أساس ديني وغير ذلك.

خلاصة القول: إن الأنظمة المعاصرة في ديار المسلمين علمانية
في دساتيرها وقوانينها ومراسيمها الإدارية وسائر شؤون الحكم فيها،
وسدنتها لا ينكرون ذلك في تصريحاتهم ومواقفهم التي لا تنقطع:
كقولهم: لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، ومنعهم منح ترخيص
للأحزاب على أساس ديني وغير ذلك.
فإذا قيل: هذه المساجد المزدهمة بالمصلين تشهد على بطلان
قولكم.

قلنا: بل قولكم هذا فيه جهل عظيم لأن العلمانية تعني أن لا دين في
السياسة ولا سياسة في الدين، والشطر الثاني من هذه المقولة يعني أنه
لا يحق لأهل السياسة أن يتدخلوا بشؤون المؤسسات الدينية، وللقائمين
على هذه المؤسسات حق اختيار الخطباء والوعاظ فيها، ووضع البرامج
التعليمية، وإنشاء دور جديدة للعبادة عند الحاجة إليها، وجمع التبرعات،
ورعاية الأوقاف التي تحقق لهذه المؤسسات كل تقدم وازدهار.
لو التزم الحكام في بلادنا بالنظام العلماني التزاماً صحيحاً لسلمت لنا
أوقافنا التي تعد مفخرة من مفاخر تاريخنا الإسلامي... ومن ريع هذه
الأوقاف كانت: تبنى البيوت للفقراء الذين لا يجدون ما يشترون أو
يستأجرون بيتاً، وتحفر الآبار، وتبنى المدارس والمستشفيات والمكتبات،
وتنسخ الكتب، وغير ذلك من الأعمال الخيرية التي يستفيد الناس منها.
هذه الأوقاف التي لا تكاد تخلو منها مدينة ولا حي أو قرية، اغتصبها -
ظلماً وعدواناً - الحكام العلمانيون في بلادنا خلال العقود الخمسة
الماضية، وحرموا المستفيدين منها، ثم زعموا أنهم فعلوا هذا وغيره
إنصافاً للفقراء والمحتاجين، ولا أدري كيف ينصفون هذا الفقير وهم

الذين يمنعون عنه الطعام الذي كان يقدم له، والمأوى الذي كان يأوي إليه، والمدرسة التي كان يتعلم فيها؟!.

ولو التزم الحكام في بلادنا بالنظام العلماني التزاماً صحيحاً لكننا أحراراً في مساجدنا ندعو فيها إلى الله على بصيرة، ولا نسمح لظالم جاهل أن يفرض علينا برامج ما أنزل الله بها من سلطان، وخطباء لا يتقنون إلا فنون النفاق والمداهنة والتجسس.

لكن الحكام في بلادنا طبقوا العلمانية تطبيقاً مشوهاً ومخالفاً لما هو عليه الحال في الدول الأوربية وبشكل خاص في الشطر الثاني من المقولة الآتية الذكر: "لا سياسة في الدين" فأدخلوا سياستهم الخبيثة إلى مساجدنا ومعاهدنا الشرعية، واستأثروا بكل شيء، ومنعونا من ممارسة أبسط الحقوق التي يتمتع بها المواطن في الدول الملتزمة بالنظام العلماني.

وإذا قيل: أنتم تبدأون بمثل هذه المقدمات لتنتهوا إلى القول بتكفير الحكام.

قلنا: المسألة ذات شقين: الشق الأول: ما هو الموقف من هذه الأنظمة: كدساتير، وقوانين، وأحكام، هل هي إسلامية أو علمانية؟! والشق الثاني: ما هو الموقف من الحكام الذين يضعون هذه الدساتير والقوانين؟!.

والقفز على الشق الأول من هذه المسألة ظلم وهروب من أصل النزاع، كما أن الذين يتسرعون ويدخلون في نقاش حول إسقاط حكم الردة على الحكام لا ينتبهون إلى الاستدراج الذي أوقعهم المخالفون فيه!!.

ليس للدعاة الذين يطرحون هذه المسألة موقف شخصي من الحكام، وليست المسألة صراعاً سياسياً حول كرسي الحكم والاستتثار به كما يصورها أصحاب الأهواء، أو كما يدعيه الحكام وأجهزة إعلامهم وأمنهم.

وإذا أراد المخالفون امتحان الدعاة فليطلبوا من سادتهم الحكام التوبة إلى الله، والعودة بالناس إلى تحكيم شريعة الله الواحد القهار، ونبذ الشرائع الجاهلية التي ابتدعوها، ولو استجاب الحكام إلى هذا الطلب لوجدوا الدعاة إلى الله خير بطانة لهم، وأشجع من يدافع عنهم ويفديهم بأرواحهم.

إذن المسألة التي يجب أن يدور حولها النقاش: ما هو الموقف من هذه الأنظمة: كدساتير، وقوانين، وأحكام، هل هي إسلامية أو علمانية؟!.

وليأذن لنا المخالفون في طرح الأسئلة التالية عليهم:

- **يقول الحق جل وعلا:** ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ السُّفَهَاءُ وَالْعَبَثُ وَالْجَاهِلِينَ بِمَا جَاءُوا بِكُمْ بِالْكِبْرِ﴾ [سورة النور: 23] **هل هؤلاء هم المخالفون؟**

- **هل هؤلاء هم المخالفون؟** ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ السُّفَهَاءُ وَالْعَبَثُ وَالْجَاهِلِينَ بِمَا جَاءُوا بِكُمْ بِالْكِبْرِ﴾ [سورة النور: 23] **هل هؤلاء هم المخالفون؟**

- **هل هؤلاء هم المخالفون؟** ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ السُّفَهَاءُ وَالْعَبَثُ وَالْجَاهِلِينَ بِمَا جَاءُوا بِكُمْ بِالْكِبْرِ﴾ [سورة النور: 23] **هل هؤلاء هم المخالفون؟**

- **هل هؤلاء هم المخالفون؟** ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ السُّفَهَاءُ وَالْعَبَثُ وَالْجَاهِلِينَ بِمَا جَاءُوا بِكُمْ بِالْكِبْرِ﴾ [سورة النور: 23] **هل هؤلاء هم المخالفون؟**

- **هل هؤلاء هم المخالفون؟** ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ السُّفَهَاءُ وَالْعَبَثُ وَالْجَاهِلِينَ بِمَا جَاءُوا بِكُمْ بِالْكِبْرِ﴾ [سورة النور: 23] **هل هؤلاء هم المخالفون؟**

1 - سبق تخريج وشرح حديث عبادة بن الصامت والحديث الذي قبله.

كلمة حق

رأيت أن أختتم هذا الكتاب بمقال كان قد كتبه الشيخ محمود عبد الوهاب فايد رحمه الله، وذلك للأسباب التالية:

الأول: كاتب المقال مدرس بكلية الدعوة وأصول الدين، وعضو لجنة السنة بمجمع البحوث، والوكيل العام للجمعية الشرعية. فهو أولاً عالماً من كبار علماء الأزهر وهو ثانياً أحد أهم المسؤولين عن جمعية حائزة على ترخيص من قبل جميع الحكومات المصرية: ملكية كانت أم جمهورية، وهذا يعني أنها ليست [-الجمعية الشرعية-] متهمه بالإرهاب وغيره من الصفات الظالمة التي اعتاد المرجفون على إصاقها بالجماعات والهيئات الإسلامية.

الثاني: يتحدث الشيخ في هذا المقال عن قضايا ومشكلات الناس جميعاً في مصر، ويخاطب زملاءه العلماء مذكراً إياهم بوجوب إنكار المنكرات الكثيرة والمتنوعة، وطالباً منهم التعاون على ذلك كما كان يفعل شيوخ الأزهر من قبل.

غير أن علاقته الوثيقة بشيخ الأزهر ومجموعة العلماء المخاطبين بهذا المقال ومحبته العميقة لهم لا تمنعه من نقدهم وبيان ما وقعوا فيه من تقصير وتساهل على حساب الأمانة الشرعية التي أنيطت بهم. وقصارى القول فإن للمقال صلة قوية بموضوع هذا الكتاب، وليس لكاتبه مشكلة مع النظام.

الثالث: الشيخ محمود عبد الوهاب فايد من العلماء الذين لا يسكتون عن إنكار المنكر مهما غلت التضحيات، وفي جميع العهود السابقة أمثلة على ذلك، ومن شاء الاطلاع على هذه المواقف فليراجع كتابه "صيحة الحق"، ولهذا فقد تعرض رحمه الله للسجن، والنقل لأماكن نائية، فما

زاده ذلك إلاباباباً وإصراراً على الحق -نقول ذلك ولا نركي على الله أأأء
-.. هذا وقد حرصت على نشر مقاله¹ الذي يصف من خلاله داء الأمة،
ودور العلماء في وصف الدواء الشافي دون التعليق عليه، وعدم التعليق
لا يعني موافقتي له في كل ما ورد في المقال، فجزاه الله عن الإسلام
والمسلمين كل خير، ونسأل الله له الرحمة والأجر والثواب.

¹ - حذف منة أخبار الصحف التي اسندل بها، واكنفيت بالإشارة إلى موضوعها.

كلمة من القلب أرجو أن يفسح العلماء لها صدورهم

"الأمن هو النعمة الكبرى... في ظلّه يعيش الناس في سلام، وبحيون في هناءة وسعادة، وعليه تقوم مصالحهم، وتقضي حوائجهم، ولا يقبل الإخلال به إلا من ساء خلقه، وفسدت فطرته، وليس لديه وازع من دين أو ضمير، وهو مسؤولية الشعب والحكومة... ومن اللازم أن يتعاونوا معاً في تحقيق الأمن والاستقرار وعلى جميع أجهزة الدولة أن تحمي الأرواح والممتلكات، وتتجنب كل ما يثير النفوس ويقلق الخواطر.

والعجيب أن بعض الصحف تنشر أخباراً كاذبة مثيرة، ويسارع بعض أهل العلم والدين إلى تصديقها والتعليق عليها دون تثبيت... مع أن الله

سبحانه وتعالى يقول في كتابه: ﴿لَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).

﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).

﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).

﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيِّنَاتِ الْكُذِبَ﴾ (البقرة: 25).

... — .!!

... .

— : . [:] . " " .

: .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
• المقدمة	5
• عندما يكون الحكم لغير شريعة الله	4
• مواقف العلماء	12
• الشبهة الأولى	15
• أبو حنيفة النعمان	19
• مالك بن أنس	19
• سفيان الثوري	20
• أحمد بن حنبل	21
• البخاري	22
• النووي	23
• العز بن عبد السلام	25
• شيخ الإسلام ابن تيمية	28

الموضوع	الصفحة
• موقفه من قازان	28
• جهاده	30
• أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر	33
• الشبهة الثانية	41
• قيمة ما يصدر عنهم من فتاوى	47
• في المسائل المتعلقة بالسلطان ونظامه ليس لأحد منهم عذر	54
• تذكير بمنهج الاستدلال عند أهل السنة	65
• لكنهم لا يتعظون	74
• أحمد حسن الباقوري	74

- محمد متولي شعراوي 78
- د. عبد العزيز كامل 79
- نصيحة 81
- سؤال وجوابه 85

الموضوع	الصفحة
• خلاصة القول	93
• كلمة حق	97
• كلمة من القلب أرجو أن يفسح العلماء لها صدورهم ...	99
• الفهرس	111